

حدث بالفعل
9
Looloo
www.dvd4arab.com
تائه فى البرارى
تحرير
أ/ جلال عبد الفتاح
إشراف
أ/ حمدى مصطفى

مقدمة المحرر

تحفل الحياة بالكثير مما يحرك النفوس ، وإذا كنا نريد الحياة حقًا ، فعلينا ألا ننقوقع ، وأن نختبرها في العديد من الأحداث . فالعالم يفتح أبوابه للشخص الذى يمتلئ بالحيوية والتجديد والإبداع والانطلاق . وعلى المرء ألا يُضيِّق على نفسه دُنياه ، بل أن يخرج عما هو مألوف من الأعمال ، ويعالج الجديد من التطورات ، ويتكيف مع المجهول من الأحداث . وإذا أبقينا همنا واهتمامنا ضيقًا محدودًا ، تصبح الحياة ماسخة الطعم ، مريرة على النفس ، ثقيلة فى إيقاعها المستوى المطّرد . فهناك فرق بين أن تحيا بالفعل ، أو أن تكون على قيد الحياة ، ومن المهم أن تكون شخصيتك غنية بكل اتجاه أخاذ فى نواحى الحياة .

ومن منا لم تواجهه المتاعب خلال مسار حياته ؟ ولكن علينا ألا نخشاها ، حتى لانصاب بالمخاوف والتردد والجمود . وتذكر أنك ستجنب نفسك الكثير من الهموم إذا فعلت ذلك ، وكل مشكلة تأتى بظروفها الخاصة مع الحل المناسب . فالشدائد هى التى تصوغ الرجال ،

وتبنى شخصياتهم ، وتقوى عزائمهم ، ولابد من الاستمرار والمثابرة والصبر . وكل إنسان يمكنه عمل أى شىء ، إذا بذل فى سبيله الجُهد الكافى .

ولايكفى أن تكون دؤوبًا مجتهدًا ـ فالنمل يفعل ذلك ـ ولكن المهم هو الشىء الذى تكدُّ من أجله ، والهدف الذى تسعى إليه ، فكلما ارتقت النفس ، عظمت الأهداف . كما أن فى أعماق كل منا حافزًا قويًا للحياة ، وتدفعنا الغريزة للمحافظة على الذات ، وتساعدنا الرغبة فى الإنجاز إلى الوصول إلى الأهداف . وهناك قوى مختزنة داخل الجسم ، تظهر بوضوح عندما تخور العزيمة ، وتهتز الثقة ، وتخمد الآمال . وعندها تبدأ هذه القوة عملها ، حيث تهبه الإرادة والطاقة على مواصلة الطريق مرة أخرى .

ومن صفات الإنسان الفطن ، أنه يأخذ الأخطار التى تزخر بها الحياة بعين الاعتبار . فالمرء عندما يواجه مايستوجب اتخاذ قرار ما ، كان من المستحيل عليه التحقق من أنه على صواب ، أو التأكد من كل الحقائق ، أو التعرف على كل الإجابات . ومن ثم فإن عليه الاعتماد على حدسه Intuition . تلك بالضبط هى النقطة التى يتقاطع عندها التعليم والثقافة . لأن التعليم الحقيقى يتجاوز كثيرًا حدود المعلومات وفصول

الدراسة ، إذ يعنى أيضًا التفكير الوثَّاب ، والفهم الناضج ، والتجارب الطازجة ، والقدرة على العمل بكفاءة .

هذه هى أهم الصفات التى تترجم المعرفة الخامدة ، إلى حكمة حية ، وتجعل حدسنا صائبًا . فالتعليم يؤدى إلى المعرفة ، والحكمة توظيف لهذه المعرفة . وما يميز الشخص المتعلم أو المثقف ، هو قدرته على الحَدْس المعقول ، على أساس معلومات غير كافية .

* * *

فى هذا الكتاب ، تُطالعنا الأحداث بمشكلة فقدان الاتجاه فى القفار والصحارى والوهاد والبرارى ، فضلاً عن الغابات والأدغال الكثيفة . حيث يُصبح من الضرورى استخدام الأجهزة الملاحية المختلفة لتحديد المواقع والاتجاهات ، لانعدام المعالم المميزة التى يمكن الاسترشاد بها .

وهناك الآن ـ بجانب البوصلات Compass ـ بعض الأجهزة الإليكترونية الصغيرة التى تعتمد على أقمار نافستار Navstar الملاحية ، بنظام Gps لتحديد المواقع والملاحة ، عبر 21 قمرًا على ارتفاع 21 ألف كيلومتر حول الأرض ، طبقًا لإحداثيات خطوط العرض التى وُضعت عام 160 قبل الميلاد ، وخطوط الطول التى طبقت عام 1751 ميلادية بناءً على «خط فيرو» أولا ، ثم عدلت إلى «خط جرينتش» عام 1884 .

كما يمكن أيضًا الاسترشاد بإشارات أقمار التنبؤات الجوية ، وأقمار البحث والإنقاذ ، وأقمار الاتصالات المتعددة . فضلاً عن الإشارات اللاسلكية للمحطات الأرضية الثابتة بنظام « البيم » Beam ، وآلة السُدس Sextant لتحديد المواقع طبقًا لزاوية ميل خطوط الطول والعرض بالنسبة للأفق ، وغيرها من بوصلات الجيرو .

وفى كل قاذفة قنابل بعيدة المدى من طراز B - 52 أو غيرها ، أربعة أجهزة لتعيين الموقع والاتجاه ، ولابد من استخدامها جميعًا فى وقت واحد وتدارك أى اختلاف بينها . وهى جهاز رادار دوبلر Doppler فى مقدمة القاذفة ، يُطلق موجات إلى الأمام والخلف والجانبين ، ويحدد سرعة الطائرة واتجاهها بالنسبة لميل الأفق . وجهاز تحديد الموقع والملاحة Gps بتقاطع الإشارات الواردة للجهاز من ثلاثة أقمار صناعية على الأقل . وجهاز الإرشاد بالقصور الذاتى ، يحتوى على مجموعة من الجيروسكوبات Gyroscope ، أحدها مثبت على الاتجاه الأصلى ، وآخر على الأفق ، وثالث على الشمال المغناطيسى ، ورابع على الشمال الجغرافى ، لتسجيل كل حركة أو انحراف خلال الطيران لمدة 21 ساعة متصلة ، دون إعادة ضبط كل ساعتين كما فى أجهزة الجيرو القديمة .

ثم ـ ويا للغرابة ـ جهاز الاسترشاد بالنجوم ، بوساطة تليسكوبين صغيرين فى سقف القاذفة ، يوجهان إلى نجمين ثابتين . وتعمل أجهزة الكمبيوتر على حساب أى انحراف أو اختلاف بين الأجهزة .

وفى حالة عدم وجود أى من هذه الوسائل ، يمكن للأفراد معرفة الاتجاهات بتوجيه عقارب الساعة نحو الشمس نهارًا ، أو بمواقع النجوم ليلاً كما جاء فى القرآن الكريم [النحل ـ 16] ، [الأنعام ـ 97] . وكذلك معرفة الوقت نهارًا بحركة الشمس الظاهرية ، أو ليلاً بالنظر إلى مواقع النجوم بالنسبة إلى النجم القطبى الشمالى بولاريس Polaris .

ويمكن للمرء أيضًا أن ينمّى حاسة الاتجاه الصحيح ـ بدون أية أجهزة ـ كما تفعل الطيور والحيوانات عند انتقالها أو هجراتها ليلاً أو نهارًا . وهو ما تتدرب عليه دائمًا القوات الأمريكية الخاصة « الرينجرز » Rangers ، وقوات « الكوماندوز » البريطانية Commandos . ولكن من الضرورى الاحتفاظ بسكينة النفس ، وصفاء العقل ، والرغبة فى الحياة ، عند الوقوع فى المتاعب .

فى مجاهل الدائرة القطبية ..

[بقلم : شيلدون كيلى]

حصل الشاب الفرنسى جان ـ جاك فرانك Jane - Jack Franck ـ 28 سنة ـ على منحة دراسية لنيل درجة علمية عالية من جامعة كويبك Quebec الكندية ، لدراسة ميدانية لآيل الرنة Elk ـ الذى يقطن أقصى شمال القارة الأمريكية ـ تستغرق عامًا كاملاً ، خاصة فصائل وَعل الشمال الأمريكى « الكاريبو » Caribou .

اصطحب جان ـ جاك فى رحلته من فرنسا ، خطيبته ليديا باروجان Lidia Barojan ـ 24 سنة . وبعد عدة أشهر من الترتيبات الإدارية والتجهيزات الفنية فى الجامعة الكندية ، انطلقا نحو الشمال الغربى لكندا بمعداتهما . وساعدتهما بعثة ثلوج الشمال فى مقاطعة نورث ويست ماكينزى North west Mackenzi ، على توصيلهما إلى بحيرة نائية فى الشمال بطائرة برمائية ، حيث زودتهما بقارب صغير ومجدافين وبعض الأطعمة ، طبقًا لتعليمات إدارة الجامعة . على أن تقوم البعثة بتلبية مطالبهم مستقبلاً مرة كل شهر بطائرة هليكوبتر ، عبر جهاز اللاسلكى ، بعد أن يستقرا فى المنطقة ، ويقيمان مخيمهما الدائم .

طوال شهر يونيو 1987 ، أخذ جان ـ جاك يرتاد المنطقة مع خطيبته ليديا ، والغابات المحيطة بالبحيرة ، وملاحظة أنواع الحيوانات البرية فيها ، خاصة قطعان أيائل الشمال . وأخيرًا قرر إقامة مخيمه فى الطرف الشمالى لبحيرة معزولة تمامًا ، قرب الدائرة القطبية الشمالية ـ التى تقع بعد خط عرض 66.6 شمال ـ Arctic Circle حيث استعان جان ـ جاك بفروع الأشجار المتوسطة لإقامة كوخ متسع ، لحمايتهما من عواصف الشمال والحيوانات البرية المتطفلة . ثم أخذا فى القيام بجولات واسعة لتصنيف الأيائل ، وتحديد تجمعاتها ، ومعرفة تحركاتها ، ودراسة تصرفاتها الغريزية فى بيئتها الطبيعية ، مع التقاط الصور وتدوين الملاحظات .

عند منتصف الليل ، فى اليوم الرابع عشر من يوليو 1987 ، هبت عاصفة شديدة ، حيث انتشر البرق وهدر الرعد فى كل مكان فى المنطقة . كانت شمس منتصف الليل مازالت فى الأفق القطبى ، وترسل أشعتها اللامعة من بين السحب الداكنة ، وهذه الشمس القطبية لاتغرب أبدًا طوال الفترة التى تمتد من منتصف أبريل وحتى منتصف أغسطس . ولكن فى الصباح لاحظ جان ـ جاك وجود حريق فى الغابة ،



طاف جان - جاك بزورقه مع خطيبته خلجان البحيرة النائية لدراسة أيائل الرنة في موطنها .

وقدر من اتجاه الرياح والدخان ، أنه يتقدم ببطء نحو المنطقة التى يخيمون بها على الضفة الشمالية للبحيرة .

كان جان ـ جاك خبيرًا بحياة البرارى والغابات ، وأدرك أن الحريق سوف يصل إلى مكانهم خلال ساعات قليلة . وأصبح واضحًا أمامه أنه لابد من الانتقال إلى الضفة الأخرى للبحيرة . وبسرعة وضع خطة لإخلاء المخيم ، وقدر أنه يمكن إنقاذ ونقل المعدات الكثيرة ومعلبات الأغذية المحفوظة عبر رحلتين بالزورق .

لم يكن جان ـ جاك وخطيبته ليديا قد أخطرا السلطات المحلية الكندية فى المقاطعة بوجودهما فى المكان ، حيث لم يكونا قد اختارا موقع مخيمهما بعد . ولم يكن هناك أحد يعلم بوجودهما سوى إدارة جامعة كويبك ، ورجال محطة الثلوج على بعد حوالى 147 كيلومترًا نحو الجنوب . كما أن البحيرة نائية جدًا نحو الشمال ، ولا يقصدها هواة الصيد وجامعو الفراء . فإذا حلت بهما مشكلة أو كارثة فى هذه القفار المجهولة ، فلن يشهدها سوى الدببة الضخمة والذئاب القطبية ، ولذلك عزم جان ـ جاك على الاتصال لاسلكيًا بمحطة الثلوج ، فور إتمام نقل مخيمهم عبر

البحيرة ، لإعلامهم بما حدث ولإبلاغ السلطات المحلية ، وتأمينًا لوجودهم من مشكلات محتملة مستقبلاً .

لخذا يحزمان أمتعتهما بمرح ، وهما يتحدثان عن الأساليب التى قد تمكنهما من البقاء على قيد الحياة ، لو امتدت النيران مع الأيام لتشمل الغابات الشاسعة حول البحيرة حيث يمكن الاستعانة بخريطة تفصيلية للمنطقة مع بوصلة للوصول إلى محطة الثلوج جنوبًا ، فهما لايحتاجان إلى أكثر من تمسكهما بالحياة وحبهما المشترك ورعاية كل منهما للآخر . ولكن هذا هو أسوأ الفروض المحتملة ، فقد كان همهما الوحيد فى تلك اللحظة نقل المعدات والأغذية ، لإنقاذ مشروع البحث بأى حال .

يصل طول البحيرة إلى حوالى 13 كيلومترًا ، وعرضها حوالى ثلاثة كيلومترات ، ومياهها زرقاء عميقة يصعب الإبحار فيها بزورق صغير ، خفيف الوزن ، مصنوع من الألياف الزجاجية Fiber - glass ، إلا عند سكون الرياح والأمواج . ومع ذلك أمكنهما الانتهاء من رحلتهما الأولى بعد الظهيرة ، حيث أمكنهما نقل الثياب والأحذية ومزالج الثلج وخيمة كبيرة ، وبندقية للتخدير وأخرى للدفاع عن النفس ، والكتب والأوراق وبعض المعدات .

فى الرحلة الثانية ، كان الزورق محملاً بالمعلبات المحفوظة والأغذية الأخرى ، وكيسى النوم ، ومعدات التصوير وجهاز اللاسلكى ، وسكين غابات مع معدات أخرى كثيرة . وفى منتصف البحيرة ، هبت رياح قوية ، اجتاحت سطح البحيرة مما أدى إلى اضطرابها . وأخذت الأمواج تضرب الجانب الأيسر من الزورق بشدة ، بينما أخذا يجدفان بجنون . وبعد فترة جاءت موجة عاتية فقلبت الزورق ، وأسقطتهما فى المياه .

تعلق جان ـ جاك وليديا بالزورق المقلوب ، وحاولا مرات إعادته إلى وضعه الصحيح دون جدوى . كانت الأمواج تدفعهما نحو منتصف البحيرة ، ورأى جان ـ جاك أن فرصتهما الوحيدة للنجاة ، تتمثل فى قطع المسافة الباقية نحو الضفة الجنوبية سباحة ، والذى قدرها بحوالى كيلومتر واحد . لذلك صرخ فى خطيبته أن تسبح بكل قواها .

كانت الأمواج الباردة تضرب وجه ليديا بعنف ، وتجبرها على إبقاء فمها مقفلاً . وكان الهواء لاذعًا ولزجًا ومشبعًا بالدخان والرماد المتطاير ، وشعرت ليديا

بألم حارق وهى تستنشق هذا الغبار الحار . ثم أخذت تسبح بالغريزة وتجدف بيدين واهنتين من الإرهاق الذى بذلته من قبل ، ولكنها حافظت على هدوئها ، ولم تستسلم للذعر .

قبل حوالى 300 متر من الشاطئ ، صرخ جان ـ جاك وقد تقلصت عضلات ساقه ، واضطرب فى سباحته خلف ليديا مباشرة . فاقتربت منه ، وحاولت إحكام ذراعها اليسرى حول رقبته والسباحة إلى الخلف نحو الشاطئ ، بينما كان جان ـ جاك يتنفس بصعوبة ويضرب الماء بتخبط مزعج ، مما أدى إلى انزلاقه . وحاولت مرة أخرى ، ولكنه غاص فى الأعماق . انتظرت ليديا بضع دقائق فى نفس المكان وهى تناديه ، ولكنه لم يطف مرة أخرى .

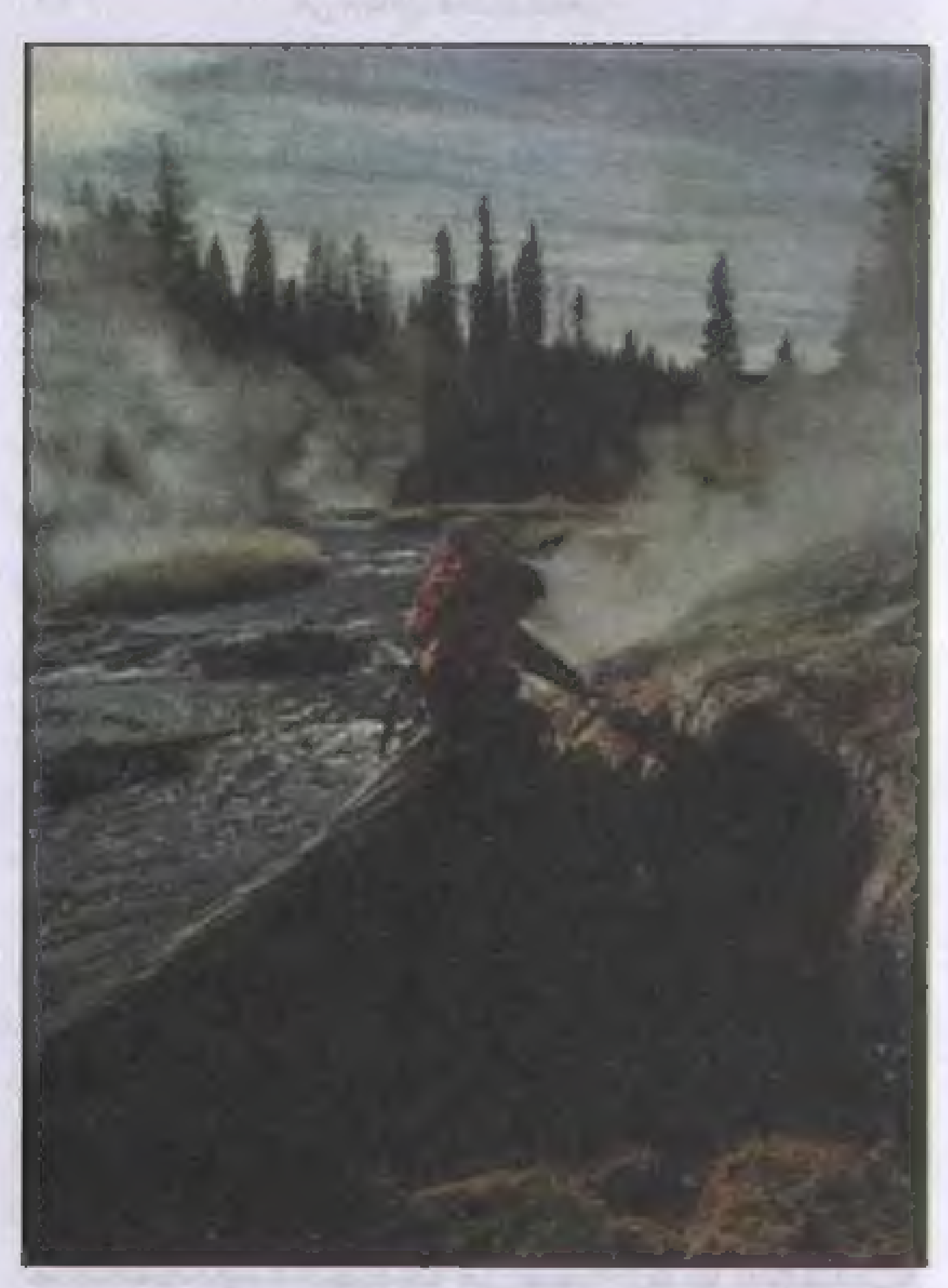
وجمعت ليديا ما تبقى من قواها ، وتابعت السباحة نحو الشاطئ .

استلقت ليديا بوجهها على حصى الشاطئ ، وانتابتها نوبة من السعال الشديد ، أسهمت فى إخراج المياه التى انزلقت إلى رئتيها ، مع الكثير من الرماد المتطاير . ثم

لتنتابها الذعر المفجع ، حينما تذكرت جان ـ جاك ، فأخذت تصرخ باكية نحو البحيرة ، ولكن لم يكن هناك إلا الرياح والأمواج والغبار .

أسندت ليديا ظهرها إلى صخرة على الشاطئ ، وأخذت تنظر إلى سطح البحيرة التى ابتلعت أحلامها وآمالها وكل سعادتها . وبعد ساعات وصلت النيران إلى موقع مخيمهما على الشاطئ الآخر من البحيرة . وكانت أشعة الشمس القطبية تلمع عبر سحب الدخان والرماد المتطاير من حريق الغابة . وراقبت ليديا ألسنة اللهب عن بعد فى سكون ، دون أن تُبدى أية حركة ، أو تفكر فى أى شىء ، وقالت تحدث نفسها : « .. لقد انتهت حياتى ! » . وأخذت تردد هذه العبارة بصوت واهن لساعات أخرى ، حتى غلبها النعاس ، فنامت فى مكانها .

استيقظت ليديا فى السادسة من صباح اليوم التالى ، وهى تشعر بالضعف والدوار والجوع . ففتحت علبة من الأرز المطبوخ والفواكه المحفوظة ، واغتسلت فى البحيرة



حافظت ليديا على ثباتها وشجاعتها ، فى أثناء رحلة العودة وسط القفار القطبية .

وارتدت ملابس نظيفة خالية من الغبار ، ثم جلست تفكر بهدوء . وكانت القاعدة الأولى التى تعلمتها من جان - جاك للبقاء على قيد الحياة فى المواقف الصعبة ، هى الحفاظ على هذا الهدوء . وعزمت على الكفاح حتى النهاية ، دون أن يتسرب اليأس إلى كيانها ، هذا ما تعلمته من خطيبها الذى كان يهوى المغامرة ، ويحب الحياة ويحتفى بما يحفظها .

ولكن موقفها كان سيئاً بالفعل ، لقد وجدت ليديا نفسها وحيدة فى برارى الدائرة القطبية ، تحيط بها قطعان الذئاب والدببة من كل جانب . وكانت محطة بعثة الثلوج على بعد 147 كيلومترًا نحو الجنوب ، أقرب مكان آهل بالسكان فى هذه الفيافى المترامية . ولكن هذه المسافة هى ما تبدو على الخرائط بين نقطتين بالطائرة مباشرة ، ولكن عليها أن تقطع ضعف هذه المسافة عندما تخترق الغابات الكثيفة ، والدوران حول السهول القطبية المليئة بالمستنقعات ، والالتفاف حول البحيرات والهضاب والممرات والأنهار حتى تصل إلى غايتها .

ومع إدراكها لكل هذه المصاعب المتراكمة ، فقد شد من عزمها تذكرها لكلمات خطيبها ، وقررت مواجهة

المجهول بكل ثقة النفس والاعتماد على الله . أخذت تفحص الأشياء التى نقلاها بالزورق فى رحلتهما الأولى، فعثرت على خريطة للمنطقة ، وبوصلة صغيرة وولاعة والساعة الخاصة بها وسكين وبعض الملابس . ووضعت هذه الأشياء فى حقيبة من النايلون على ظهرها ومعلبات الأطعمة التى عثرت عليها فى كيس آخر . ثم بدأت المسير نحو الجنوب ، دون أن تصطحب البندقية ، حيث لم تعثر على الذخيرة الخاصة بها .

كانت تسير بمحاذاه ضفة البحيرة ، وهى تلوح بيدها أمام وجهها لطرد جحافل الذباب الأسود والبعوض . بينما أخذت الحشرات تخترق شعرها وملابسها ، وتشبعها وخزًا ولسعًا وتشويهًا . بعد حوالى الساعة ، كانت ليديا تتصبب عرقًا ، وغطت اللسعات كل سطح جلدها المكشوف .

وكم كانت خيبة أملها عظيمة ، حينما اكتشفت أنها كانت تسير فى الاتجاه الخاطئ . وعادت مرة أخرى إلى نقطة البداية ، حيث استبدلت بملابسها ملابس أخرى مناسبة وأكثر إحكامًا ، لمقاومة الحشرات من ناحية وكذلك للتكيف مع درجة الحرارة التى ترتفع إلى 30 درجة مئوية نهارًا ،

وتنخفض إلى عشر درجات ليلاً ، واصطحبت معها بعض علب البخاخ الطارد للحشرات وأكياس إضافية لحمايتها . كما قررت استخدام الخريطة والبوصلة بين الحين والآخر ، لتحديد اتجاهها ومسارها دون المزيد من الأخطاء ، ثم انطلقت مرة أخرى .

كانت ليديا كلما شعرت بالحاجة إلى الراحة ، تجلس تحت شجرة ، وتحمى يديها وشعرها بأكياس النايلون . وكانت تغفو أحيانًا لبعض الوقت ، ولكنها كانت تتابع تقدمها بنشاط وإصرار . ولم يكن فى استطاعتها الحفاظ على مسار مستقيم خلال الغابة الكثيفة ، مما جعلها تضل طريقها باستمرار ، وتقف حائرة لدراسة البوصلة والخريطة . وكان عليها دائمًا التحول إلى طرق جانبية للالتفاف حول البرك والأغوار والمستنقعات التى تصادفها .

فى نهاية اليوم الأول قدرت ليديا أنها قطعت حوالى ثمانية كيلومترات خلال عشر ساعات . وعندما جاء الليل انخفضت درجة الحرارة ، وخفت أسراب الحشرات . جمعت ليديا بعض الأغصان الجافة بجانب إحدى الصخور ، ثم جلست بالقرب من النيران ، تتناول طعامها المحفوظ . ثم استسلمت للنوم ، وقد امتلأت نفسها ببريق الأمل .

استيقظت ليديا فى الثالثة فجر اليوم التالى ، وقررت مواصلة السير تحت ضوء الشمس القطبية ، فبقاؤها على قيد الحياة يتوقف على ثباتها وإصرارها . وبعد فترة وجدت نفسها فى مواجهة جدول مائى عريض ، ولكنها لم تعد قادرة على المخاطرة والانحراف حول الأشياء التى تعترضها وتعوق تقدمها . ولذلك خلعت ملابسها وخاضت فى المياه الباردة حتى عنقها ، وقد أمسكت بثيابها وحقيبة معداتها فوق رأسها . ثم أشعلت نارًا تستدفئ بها وارتدت ثيابها ، وواصلت المسير بمزيد من القوة والعزم .

كانت ليديا متخصصة فى علم الأحياء ، ولذلك أدركت أنها لن تستطيع الصمود طويلاً دون غذاء كاف . فالمعلبات المحفوظة القليلة لن تعطيها القوة الكافية للاستمرار . لذلك أخذت تبحث فى طريقها عن التوت البرى أو الثمار التى يمكن تناولها أو أقراص عسل النحل البرى قرب جذوع الأشجار اليابسة . كما ركزت انتباهها لمعالم الأرض ، حيث وجدت نفسها مرات وقد غاصت قدماها فى رواسب الطين والمستنقعات والبرك الراكدة .

وكان أكثر ما يثير الرعب فى قلب ليديا ، هو إدراكها بوجود الحيوانات البرية الشرسة فى كل مكان حولها ، خاصة قطعان الذئاب القطبية البيضاء . ولم يكن لديها سلاح يمكن الاعتماد عليه للدفاع عن النفس عند الضرورة ، سوى السكين ! لذلك قررت أنه فى حالة الخطر عليها بتسلق أكبر شجرة كبيرة عالية ، حتى يزول الخطر ، وأن تحافظ على هدوئها .

ولكنها بينما كانت تجتاز أحد السهول العشبية ، وجدت نفسها فجأة أمام دب قطبى ضخم الحجم على بعد حوالى عشرة أمتار . لم تكن هناك أشجار قريبة ، فقررت فى الحال التوقف تمامًا عن أى حركة قد تثير الدب فيهاجمها .

ظلت هكذا بضع دقائق طويلة ، ثم شب الدب على قدميه الخلفيتين ، وأخذ يتشمم الهواء من كل اتجاه ، ونظر إليها طويلا ، ثم خفض جسمه واستدار مبتعدًا .

استمرت ليديا فى تقدمها عدة أيام على هذا النحو المرهق ، وهى تجاهد للحفاظ على اتجاهها نحو الجنوب الشرقى إلى محطة الثلوج . وكثيرًا ما كانت تتوقف لحساب اتجاهها على الخريطة وتأشيرات البوصلة ، وتعيد الحساب لتتأكد

من مسارها، وقدرت أنها على بعد حوالى 16 كيلومترًا من بحيرة أوبرى Oberry حيث تقع خلفها نحو الجنوب بحيرة كولفيل Collville على بعد حوالى 18 كيلومترًا منها. وهناك عليها أن تلتف حول مستنقع كثيف بالقرب من شمال ضفاف بحيرة كولفيل، ثم تتجه جنوبًا لمسافة 40 كيلومترًا أخرى كى تصل إلى محطة بعثة الثلوج Ice Mission Station فى الطرف الآخر من البحيرة.

وصلت ليديا إلى هضبة صخرية عالية، وشاهدت أمامها الغور الفسيح لبحيرة أوبرى. وانطلقت بحماسة لتجتاز بحيرة أوبرى بالقرب من ضفتها الشرقية، فبعدها مباشرة وعلى بعد 18 كيلومترًا بحيرة كولفيل المستطيلة.

وصلت ليديا فى صباح اليوم التالى إلى ما اعتقدته الطرف الشمالى لبحيرة كولفيل، التى يبلغ طولها 32 كيلومترًا، وعرضها سبعة كيلومترات. ولكنها اكتشفت بعد فترة أنها ضلت الطريق، وأن ما حسبته بحيرة كولفيل ما هو إلا خليج متسع من بحيرة أوبرى. فأخذت تعيد حساباتها طبقًا لاتجاهات البوصلة مع موقعها على الخريطة. ثم واصلت السير بقدمين داميتين فى الاتجاه الصحيح.

فى الصباح التالى، 21 يوليو 1987، أعادت ليديا رسم اتجاهها على الخريطة، ثم سارت بضع ساعات حتى وصلت إلى الطرف الشمالى لبحيرة كولفيل. حيث توقفت للراحة وتناول الطعام ومعالجة جروح قدميها، ثم واصلت السير جنوبًا بالقرب من ضفة البحيرة الشرقية.

مشت لساعات وهى تفكر فى النهاية القريبة لمحنتها، حينما شاهدت أحد الأكواخ الخشبية لرجال الصيد. لم يكن الباب مقفلاً، فدخلت وهى تكاد تسقط من الإرهاق. وبعد فترة من الراحة، اكتشفت ليديا وجود الكثير من المأكولات المحفوظة والدقيق والسكر والشاى والأرز وغيرها. فأعدت لنفسها أول وجبة ساخنة منذ أسبوع. ثم اغتسلت ونامت لعشرين ساعة متواصلة، لما استيقظت فتحت الباب لتتشمم الهواء المنعش ليلاً. وشاهدت فى ضوء الشمس القطبية ذئبًا أبيض على مبعدة بين الأشجار.

ظهر الذئب القطبى لأربعة أيام متتالية قرب الكوخ، كأنه ينتظر. ولكنه اختفى من بعد ظهر يوم 26 يوليو، فقررت ليديا متابعة رحلتها نحو الجنوب، بعد أن تركت رسالة شكر لصاحب الكوخ. بعد ساعات لاح لها أنها سمعت صوت محرك آتيًا من البحيرة وكان جوى أوليست

Joey Oehlest يصطاد البط البرى Mallard بقاربه السريع ، كما اعتاد دائمًا .

دهش جوى لمرأى ليديا ، فلم يسبق أن ارتاد شخص بمفرده هذه البقاع النائية ، وحتى كوخ والده . وساعدها إلى الصعود إلى زورقه . وأسرع عائدًا إلى محطة بعثة الثلوج عبر البحيرة على بعد 32 كيلومترًا نحو الجنوب . بينما أخذت ليديا تصلى فى صمت وتشكر الله على عنايته وهدايته لها طوال 120 كيلومترًا قطعتها عبر الوهاد القطبية .

استقلت ليديا فى صباح اليوم التالى طائرة هليكوبتر تابعة للبوليس الكندى فى المقاطعة ، حيث أرشدتهم إلى مكان البحيرة . وجرى انتشال رفات جان ـ جاك من البحيرة ، وجمعت ليديا من ركام المخيم بعض الأشياء والأفلام التى تحوى صورًا لأيامها الأخيرة مع خطيبها .

وتعمل ليديا حاليًا فى مدينة تولوز Toulouse جنوب فرنسا ، ولا تزال تذكر رحلتها القطبية ، حيث تعلمت الاعتماد على النفس والقدرة على التكيف والمثابرة على الهدف ، والكثير مما تعلمته من خطيبها جان ـ جاك .

بتصرف مختصر عن المصدر :

International Wildlife Magazine , An Article by Scheldon Kelly , dated May - june 1988 published by The National Wildlife Federation , Vienna , Virginia , U.S.A

حينما انقضت العاصفة الثلجية ..

[بقلم : إيملى كولبير]

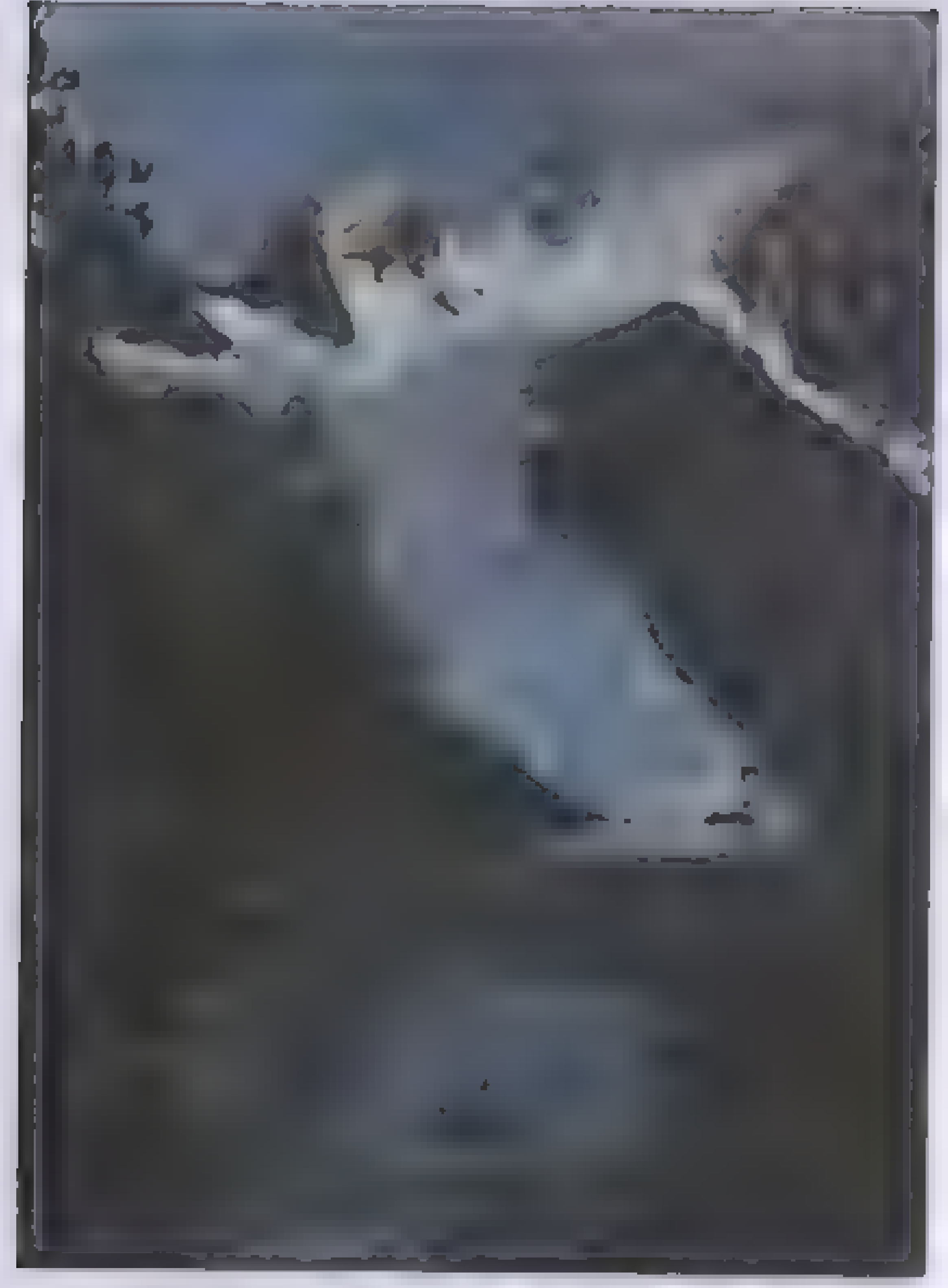
اتفق ريتشارد ديلى Richard Dilly - 35 سنة ، مع صديقه ستيفن ملكى Steven Mackaye - 27 سنة ، على القيام برحلة لصيد الغزلان فى نهاية الأسبوع . ولم تكن هذه الرحلة لمجرد التسلية والعبث وتضييع الوقت ، ولكنهما كان يبغيان تأمين احتياجات أسرتيهما من اللحوم لفترة ، حيث إن دخلهما ومصروفات أطفالهما لا يسمح بشراء اللحوم بصفة منتظمة .

حصل ديلى على تصريح من إدارة الغابات فى مدينة توين فولز Twin Falls فى جنوب ولاية إيداهو Idaho الأمريكية ، يسمح لهما بصيد غزال واحد لكل منهما خلال أسبوعين ، من غابة بايت القومية الواسعة Payette National Forest . وهذه الغابة الضخمة تقع على الحدود بين ولاية إيداهو ، وولاية أوريجون Oregon فى الشمال الغربى الأمريكى . وتتضمن سلسلة جبال كادى ، التى يبلغ ارتفاعها 2350 مترًا ، كما يخترقها نهر سنيك ريفر

Snake River وفروعه الكثيرة التى تصب فيـه . كما تعج الغابـة بـالجداول والمستنقعات والبحيرات الصغيرة من ذوبان الثلوج .

فى صباح يوم السبت ، الخامس من شهر نوفمبر1983 ، انطلق الصديقان فى رحلتهما على أن يعودا فى مساء اليوم التالى . وقاد ويلى سيارته البيك ـ آب Pick - UP القويـة ، ذات العجلات الأربع المندفعة ، وهى تسحب مقطورة لنقل الحيوانات ، تضم الحصانين الخاصين بهما . ووصلا إلى مشارف مرتفعات الغابة ، عصر نفس اليوم ، بعد أن قطعا حوالى 280 كيلومترًا من قرية قرب مدينة توين حيث يسكنان . ثم أقاما مخيمهما بالقرب من جدول صغير ، ينبع من منحدرات جبال كلدى .

فى صباح اليوم التالى ، التقط كل منهما بندقيتـه ، وامتطى جواده ، وأخذا يصعدان المرتفعات . وطوال اليوم ، ظلا يجولان بين الأشجار ، وينتقلان من منطقة إلى أخرى ، ويخترقان المرتفعات العالية ، دون أن يشاهدا غزالاً واحدًا . فعادا إلى مخيمهما قرب الغروب لقضاء الليل ، وقررا تكرار المحاولة فى اليوم التالى ، ولكن دون جدوى .



ترك الصديقان سيارتهما واصطحبا جواديهما لصيد الظباء فى غابة بايت

فى اليوم الثالث ، لمحا قطيعًا من الظباء بين أشجار الغابة الكثيفة على ارتفاع أكثر من ألفى متر . وأخيرًا تمكن كل منهما من اصطياد ظبى له ، وكان أحدهما صغير الحجم يزن حوالى 125 كيلوجرامًا ، والآخر حوالى 160 كيلوجرامًا . وقدر ديلى أنه من المستحيل نقل الظبيين مرة واحدة إلى المخيم الذى يبعد عنهم حوالى 21 كيلومترًا. ولذلك رفعا الظبى الأصغر حجمًا إلى ظهر حصان ملكى للقوى ، وسارا مترجلين نحو المخيم . على أن يعودا بعد ذلك ، لقطع الظبى الأكبر حجمًا إلى نصفين ، وتحميل كل منهما على حصان .

كان طريق العودة وعرًا للغاية ، مليئًا بالصخور والمستنقعات والأوحال ، وحل عليهما الظلام ومازال أمامهما عدة كيلومترات . فعرجا نحو كوخ خشبى لرجال الصيد كانا قد شاهداه ، للاستفسار عن أقرب الطرق نحو السهل الجنوبى للمرتفعات . ثم قبلا دعوة صاحب الكوخ الكريمة للمبيت ، على أن يتوجها فى الصباح التالى نحو المخيم ، لترك الظبى الأول فى السيارة ، والعودة لنقل الظبى الآخر الذى تركاه فى مكانه .

خلال المناقشات مع صاحب الكوخ ، دلهما على طريق آخر ، يستخدم فى جر ونقل الأخشاب المقطوعة ، يؤدى

إلى قمة جبل كادى . وأوضح لهما على الخريطة مسار الطريق حيث يمكنهما استخدام السيارة البيك ـ آب . وكان هذا يعنى قطع مسافة 16 كيلومترًا إضافية فى طريق غير ممهد . ولكن ما إن يبلغا القمة عند نهاية الطريق ، حتى يجدا نفسيهما على بعد مسافة قليلة من مكان الظبى الآخر . وقال ديلى معقبًا « .. هذا الأمر سيكلفنا المزيد من الوقود . لكنه سيوفر على الجوادين عناء صعود المرتفعات ، كما سيعفينا من مشقة السير فوق الأحجار » .

فى الصباح الباكر يوم الأربعاء ، انطلق الصديقان نحو المخيم ، ولكنهما لم يصلا إلا قرب الظهيرة . وعلى الفور وضعا الخيمة والمعدات فى السيارة ، وحملا الحصانين فى المقطورة ، وانطلقا صعودًا نحو التلال المرتفعة . وعندما وصلا إلى طريق الأخشاب عصرًا ، كانت الأمور تزداد سوءًا مع كل مسافة من الطريق . إذ أخذت العجلات تغوص فى الأوحال والثلوج المتراكمة والمياه الذائبة الباردة .

اضطرهما سوء الطريق إلى التوقف ، على بعد حوالى خمسة كيلومترات من نهايته . كانا على ارتفاع حوالى 2200 متر ، وقد اقترب موعد الغروب ، فأخذا يفكران فيما يمكن أن

يفعلاه . واقترح ويلى العودة إلى السفح مرة أخرى قبل حلول الظلام . ولكن ملكى اقترح تمضية الليل فى السيارة ، ثم استئناف الرحلة على الجوادين صباحا . فإذا وجدا الظبى مكانه ، ولم تقض عليه الذئاب نقلاه على جواديهما ، وإلا اصطادا ظبيًا آخر . فليس هناك مبرر أن تنتهى رحلتهما بالإخفاق ، وهما متواجدان بالفعل فى الغابة .

فى صباح الخميس انطلق الصديقان نحو هدفهما . واستعدا للأحوال الجوية المتقلبة عند القمة ، حيث الضباب والثلوج وانخفاض درجة الحرارة . وارتدى كل منهما الملابس والجوارب والمعاطف الصوفية الثقيلة ، والأحذية المحكمة الواقية من الماء ، مع أغطية الكتف المضادة للماء . وحملا بعض الأغذية المحفوظة ، وعلب الثقاب المقاوم للماء ، ومصباحين كهربائيين مع بندقيتيهما .

مع تواصل صعودهما ، تحول المطر الساقط ، إلى قطع من الجليد المتجمد تدفعه الرياح العاتية . فلما وصلا إلى القمة الجرداء من الأشجار ، والمغطاه بالثلوج فى نهاية الطريق ، كانت سرعة الرياح قد وصلت إلى 130 كيلومترًا فى الساعة وقال ملكى : « .. ربما كان من الأفضل الأخذ برأيك ، والاكتفاء بذلك والعودة الآن ! » فصمت ويلى



أخذ الصديقان يجوبان الغابة لأيام بحثا عن قطعان الظباء

برهة ثم قال : « .. طالما قد وصلنا إلى هذا المكان ، فلم يتبق لنا إلا ثلاثة كيلومترات إلى مكان الظبى . وأعتقد أنه يمكننا الوصول إليه . »

كان عليهما للانتقال إلى الطرف الآخر من المرتفعات ، عبور طريق ضيق يمتد لعدة مئات من الأمتار . فترجلا عن جواديهما ، وأخذا يشقان طريقهما ببطء وكل منهما ممسك بجواده . وسرعان ما سقط جواد ديلى ، وأخذ ينزلق على حافة المنحدر ، حتى أوقفته كتلة كبيرة من الصخر ، دون أن يصاب بسوء . كما سقط ماكى وجواده بعد ذلك من غير إصابات . وعندما خلع ماكى قفازه ليربت على رأس ورقبة الجواد مشجعا ، وجده باردا بشكل مزعج .

فلما اقتربا من مكان الظبى ، كانت الرياح الباردة قد استحالت إلى سهام تخترق كل نسيج من ثيابهما . ووجدا الظبى مكانه ، فقسماه إلى نصفين ، ووضعا كل نصف فوق ظهر حصان ، وانطلقا فى طريق العودة سيرًا على الأقدام ، وهما يسحبان الجوادين . وتوقف ماكى عدة مرات للراحة من البرد والإرهاق . ولم يتعجله ديلى ،

لأنه يعرف أن العرق عندما يتجمد بعد ذلك لانخفاض درجة الحرارة حتى التجمُد ، يضاعف الإحساس بالبرد .

عندما وصلا إلى القمة الجبلية ـ حيث بداية طريق الأخشاب ـ كان المطر قد بلل ثيابهما ، وتسلل إلى أحذيتهما . ولاحظ ديلى أنه برغم الإجهاد الذى عانياه فى الصعود نحو القمة فى طريق عودتهما ، فإن هذا المجهود لم يولد حرارة ذاتية فى جسمه ، ورأى فى ذلك علامة خطر .. ولكن السيارة مع المقطورة كانت على بعد عدة كيلومترات قليلة ، نزولا على طريق الأخشاب ، وأمامهما ساعة كاملة حتى غروب الشمس .

تمكن الصديقان من متابعة الطريق لثلاثة كيلومترات أخرى ، حينما هبت عاصفة ثلجية فجأة . ولما استعملا مصباحيهما ، لم يريا سوى خيالات وسط الضباب وقطع الثلج المتطايرة . لم يعد ديلى يعرف إلى أين يتجه بالضبط ، فليس هناك علامات محددة للطريق ، ولم يكن معهما بوصلة .

شعر ديلى برجفة تهز كيانه ، ولاحظ أن كلماته تخرج بطيئة وضعيفة ، وأن الأمر نفسه ينتاب صديقه . وأدرك



انقضت العاصفة الثلجية على الصديقين وحجبت معالم الطريق وأصبحت حياتهما في خطر

ديلى على الفور أن ذلك دليل على هبوط شديد فى درجة الحرارة ، ولابد لهما من مصدر خارجى للحرارة ، وإلا تجمدا حتى الموت .

أخذ ماكى يصلى فى صمت ، ويتضرع إلى اللّه أن يهديهما إلى الطريق الصحيح . وسأله ديلى : « فى أى اتجاه توجد السيارة حسب رأيك ؟ » فقال ماكى : «لدىَ إحساس داخلى بأنها تقع على يسارنا » . فسارا إلى هذا الاتجاه ، إلى أن وصلا إلى بعض الأشجار المتلاصقة ، التى يمكن الاحتماء بها للوقاية من الرياح .

حاول ماكى جمع بعض الأغصان والأوراق لإشعال النيران ، إلا أن الأخشاب كانت مبتلة ورطبة للغاية ولم تسر فيها النار . وبعد حوالى الساعة من المحاولات العقيمة لإضرام النيران ، حاول ديلى استكشاف الاتجاه الصحيح نحو مكان السيارة والمقطورة . وسار حوالى مائتى متر دون أن يعرف شيئًا . وخشى أن يضل طريقه إن ابتعد كثيرًا عن مكان ماكى والجوادين ، فعاد من فوره . وفى أثناء عودته عثر على غابة منعزلة من أشجار التُنوب Fir ، قد تؤهل لهما مكانًا أفضل للحماية من الرياح الثلجية العاصفة .

عندما بلغ الصديقان غابة التُّنوب ، كانت القشعريرة قد تمكنت منهما وأخذا يرتعشان من سطوة البرد بطريقة لايمكن السيطرة عليها . فحاولا إقامة حاجز من الثلج المتراكم حولهما ، ثم جلسا ملتصقين طلبًا للدفء ، وتقليل الفاقد من الحرارة . وغفى ماكى من فوره ، بينما أخذ ديلى يفكر في مصيرهما ، وقدر أن صديقه سوف يتجمد خلال ساعة فى أثناء نومه ، وأنه سرعان ما سيلحق به . فارتجف من هذه الخواطر ، وايقظ صديقه ليحثه على الحديث والتمسك بالحياة .

أخذ الصديقان يتبادلان الحديث ، عن أسوأ الاحتمالات التى يمكن أن تحدث لهما . وتذكر ماكى مشهدًا سينمائيًا كان قد شاهده من فترة ، حول رجل من الهنود الحمر وزوجته ، حاصرتهما عاصفة ثلجية عارمة . حيث استطاعا الصمود والنجاة ، بوضع أيديهما داخل بطن جوادهما بعد قتله . ثم قال إنه إذا شاء لهما الخروج من هذا المأزق ، فلابد من قتل الجوادين ، وفعل الشىء ذاته .

كان ذلك قرارًا صعبًا ، ومؤلما على النفس ، ولكن لم يكن هناك من بديل . أنزلا السرجين ، وأطلقا النار على رأسى الجوادين ، ثم فتح كل منهما بطن حصانه وأدخلا

أيديهما . وبدأت الحرارة تسرى فى جسديهما ، بدءًا من ذراعيهما . ولكن ذلك لم يكن كافيا ، إذ أقحم كل منهما جسده ورأسه ورجليه داخل التجويف البطنى والصدرى لجواديهما النافقين ، برغم الشعور المزعج بالغثيان ، ولكن الدفء كان ضروريًا لاستمرار الحياة والصمود .

ظلت العاصفة الثلجية تعصف بهما طوال الليل ، والرياح الباردة تعوى من حولهما ، وتراكم الثلج فوقهما حتى غطاهما تماما . ولكن الصديقان كانا يحتميان فى مخبئهما الدافئ ، وخشيا أن يتجمد الحصانان من الداخل ، ويطبقا عليهما للأبد . وجعلهما الخوف من التجمد إلى الخروج من مخبئهما كل ساعة لإزالة الثلوج المتراكمة من فوقهما .

ومع الوقت تجمد الحصانان النافقان تماما ، وبدأ الدفء يتسرب بسرعة ، ولكن الصديقين كانا قد استمدا القوة الكافية للاستمرار والصمود . وخرجا من مخبأيهما قبيل الساعة السادسة صباح يوم الجمعة ، بعد أن هدأت العاصفة الثلجية ، وأشرقت الشمس بأشعتها الدافئة . وأخذا فى السير للاحتفاظ بالحرارة ، غير أن الضباب الكثيف حال دون رؤيتهما لمسافات أبعد . وبعد أن سارا منحدرين حوالى ثلاثة كيلومترات ، انقشع الضباب ، وأدركا من طبيعة الأرض ومسارات الخريطة ، أنهما ضلا الطريق مرة أخرى فى طريق فرعى .

عاد الصديقان من جديد إلى مكان الجوادين ، وأخذا يجولان فى دوائر للاستكشاف . حين شاهدا علامــة على بعد حوالى 400 متر ، أرشدتهما إلى الطريق الصحيح نحـو السيارة والمقطورة . فسارا فوق الثلج الكثيف حتى وصلا إلى هناك .

أدار ديلى محرك السيارة لاكتساب الدفء الكافى . ثم اغتسلا وبدلا ملابسهما وتنـاولا طعامهمـا . وفـى طريق العودة ، قابلا رجال البحث والإنقـاذ الذين كانوا قد بدءوا البحث عنهما فى الغابة الواسعة ، بعد تأخرهما فى العودة لم يصب الصديقان بأى أذى يذكر ، سوى الألم النفسى الذى عانياه طويلاً ، لاضطرارهما إلى قتل الجوادين ، ويرددان دائمًا أنهما مدينان بحياتيهما لهذين الجوادين . فضلا عن إحساس كل منهما بأنه فقد شريك حياة ، ورفيق درب ، وصديق عمر ، كما يعتبر الحصان لمن يعيشون فى الريف .

بتصرف مختصر عن المصدر :

[illegible] dated March 1984 .

[illegible] N.Y. 10020 , U. S. A.

الضياع فى جبال الألب . .

[بقلم : كاترين جانمسترند]

قرر هارفى رانفيل Harvey Ranieville ـ 23 سنة ـ قضاء عطلة رأس السنة فى جبال الألب Alps ، مع زوجته باتريشيا Patricia ـ 22 سنة ـ لممارسة هوايتهما فى التزلج على الثلوج .

كان الاثنان يعمـلان بالتدريس فى مدينـة ميللو Millau بمقاطعة أفيرون Aveyron جنوب فرنسا . وقد تزوجا منذ أربع سنوات ، وتجمعهما اهتمامات وهوايات مشتركه عديدة من بينها متعة التزلـج Skis . وكلاهما يدركـان الأخطـار الكامنة فى هـذه الهواية الرياضية ، ولذلك أخذا يتأهبـان بعناية لهذه الرحلة طوال شهر ديسمبر 1980 . فكانا يتدربان على ركـوب الدراجات لمسافات ، والركض المنتظم للتمرين وتقوية التنفس . كما مارسا رياضـة اليوجا Yoga للسيطرة على النفس .

وحصـلا على معدات حديثـة للتزلـج وخرائط تفصيليـة لمنطقة جبل مون بلان Mont Blanc ، أعلى جبال الألب ، حيث

يبلغ ارتفاعه 4807 أمتار . وأعدا لرحلة تستغرق أربعة أيام بالأطعمة المناسبة المحفوظة وخيمة صغيرة وكيسين للنوم وكشافين كهربائيين وموقد غاز وعلبة كيروسين مضغوط وزجاجات مياه وكاميرا وغيرها .

انطلق الزوجان فى بداية عطلتهما إلى قرية شامونى Chamonix فى مقاطعة هويت سافوى Haute Savoie فى شرق فرنسا ، حيث قضيا الليلة فى فندق «دى تور» . وهناك أجبرتهما نشرة الأحوال الجوية السيئة إلى اختصار رحلتهما إلى يومين فقط ، وليلة واحدة يقضيانها على الهضاب المرتفعة للجبل ، دون المخاطرة بالصعود إلى أعلى كثيرًا . وقبل أن يغادرا الفندق فى صباح اليوم التالى ، أبلغا مديره باتجاههما الجديد ، والطريق الذى سوف يسلكونه فوق ممر إنترين Entren Pass ، إلى هضبة لوبوابيه على جبل مون بلان ، التى تقع على ارتفاع 1878 مترًا .

وتقع قرية شامونى الفرنسية فى بداية الطريق الصاعد إلى ممر إنترين ، وفى بداية الطريق الصاعد إلى مدخل هذا النفق الذى شق عام 1962 تحت جبل مون بلان ، بطول 11,52 كيلومتر إلى قرية إنتريفيس Entrèves الإيطالية ، حيث إن الجبل يقع على الحدود بين البلدين ، ولذلك لعبور السيارات .

إحدى الاستراحات السياحية فى الجانب الفرنسى من جبال الألب . وفى الجانب الآخر من الجبل الحدود الإيطالية .

كما شُق نفق آخر للقطارات فقط عام 1967 ، بطول 6,4 كيلومتر ، على بعد 80 كيلومترًا جنوب نفق إنترين . وتزخر هضاب ومرتفعات جبل مون بلان الشهير بالمنتجعات السياحية والأكواخ والاستراحات للهواة من محبى رياضة التزلج ، وأسلاك عربات التليفريك المعلقة Cableway للانتقال بين هضبة وأخرى ، وكذلك الأبراج الكهربائية لكابلات الضغط العالى ، فضلاً عن مهابط الطائرات الخفيفة والهليكوبتر .

قضى الزوجان ليلة رأس السنة على هضبة لوبوابيه ، واحتفلا بمقدم عام 1981 الجديد بعشاء فاخر والحساء الساخن ، وتبادلا حديثًا ضاحكًا ، حيث تمنيا عامًا سعيدًا تتحقق فيه أحلامهما ، ثم خلدا إلى نوم هادئ .

حينما فتحت باتريشيا باب الخيمة فى صباح يوم رأس السنة ، شاهدت الغيوم الكثيفة تظلل مدخل ممر إنترين ، كما كان الضباب يتجمع بصورة مخيفة حول المنطقة . وقالت تستحث زوجها : « .. من الضرورى النزول فى الحال ، ولم يعد هناك وقت نضيعه ! » . وأخذ الزوجان يجمعان أمتعتهما ومعداتهما بسرعة ، وثبتا مزلاجيهما فى وضع الانزلاق السريع ، وانطلقا نزولاً إلى الوادى . ولكن الضباب الكثيف أرغمهما على التمهل عند الظهر ، ثم لم يعد فى استطاعتهما

رؤية أى شىء حولهما . فأخرج هارفى خريطة المنطقة وبوصلة صغيرة وجهاز ألتيميتر Altimeter لقياس الارتفاع . وأخذا يسيران بحذر شديد اعتمادًا على هذه الأجهزة ، وكان هارفى يضطر إلى التوقف كل 50 مترًا لفحص الخريطة ، للتأكد من اتجاههما .

انقشع الضباب لفترة وجيزة فى الساعة الثانية بعد الظهر ، فشاهدا برجًا لكهرباء الضغط العالى . فقال هارفى « .. إنه مذكور فى الخريطة ، ولاشك أننا على الطريق الصحيح ! » . ولما ظهر لهما أنهما لن يبلغا منتجع سلوسور Saussure قبل الغروب ، فقد قررا الاستراحة ، وإقامة خيمتهما قرب البرج الكهربائى . فلن يضيرهما قضاء ليلة أخرى فى الجبال ، ولديهما من الأطعمة مايكفى يومين آخرين .

كان الجو صافيًا فى صباح اليوم التالى ، فجمع الزوجان أدواتهما وانطلقا نحو الشمال الغربى . ولاحظا أن الانحدار يزداد حدة ، إلى أن وصلا فجأة على حافة جرف عمودى يطل على هوة عميقة ، وأدركا أنهما سلكا طريقًا خاطئًا . فعادا مرهقين صعودًا إلى البرج الكهربائى . وبعد راحة قصيرة ، انطلقا من هناك نحو الشمال ، وبعد فترة كانا

يحدقان مرة أخرى فى نفس الهوة . ولم يكن الوقت يسمح بمحاولة أخرى ، فاضطرا إلى تجهيز خيمتهما لقضاء ليلة ثالثة فوق الجبل .

فى صباح اليوم التالى ، صعد الزوجان حتى البرج الكهربائى . وأخذ الزوجان يفحصان الخريطة من جديد ، وقالت باتريشيا : « إن مدخل الممر فى مكان جهة الشرق » . ولكن هارفى قاطعها : « .. انظرى ! إن هناك آثار متزلجين ! » . ثم تابعا السير وهما يتضاحكان بارتياح ، ولكنهما لم يبتعدا كثيرًا ، إذ تبين لهما أنها آثارهما . وجلست باتريشيا على الثلج فى شبه انهيار ، لقد مضى على غيابهما أربعة أيام ، وهى تريد العودة إلى منزلها ولكن كيف ؟! وهذه الثلوج المتراكمة تعادى سيرهما فى كل مرة .

وعادا صعدًا إلى البرج للمرة الثالثة ، حيث كانت الغيوم تتجمع منذرة بطقس سيىء ، وبدأت قطع الثلج تتساقط فى بطء . فقال هارفى : « يبدو أننا مقبلان على أيام صعبة ! » . وقررا إقامة خيمتهما ، ولكن بعيدًا عن مواقع الانهيارات الثلجية المحتملة . ولحسن حظهما أنهما اقتصدا فى طعامهما فى اليوم السابق ، ولديهما كمية من الطعام تكفى خمسة أيام بكثير من التقتير .

انهمر الثلج بلا توقف لأربعة أيام متصلة ، لم يخرج خلالها الزوجان من خيمتهما ، إلا لجرف الثلوج المتراكمة حولها . وحدثت عدة انهيارات ثلجية مروعة فى هدير عاصف ، مما روعهما كثيرًا ، فقد خشيا أن تطمرهما الثلوج تحتها إلى الأبد . كما اضطرا إلى خفض وجباتهما حتى يبقيا على قيد الحياة أطول وقت ممكن ، مما أدى إلى تهافت قوتهما إلى حد كبير .

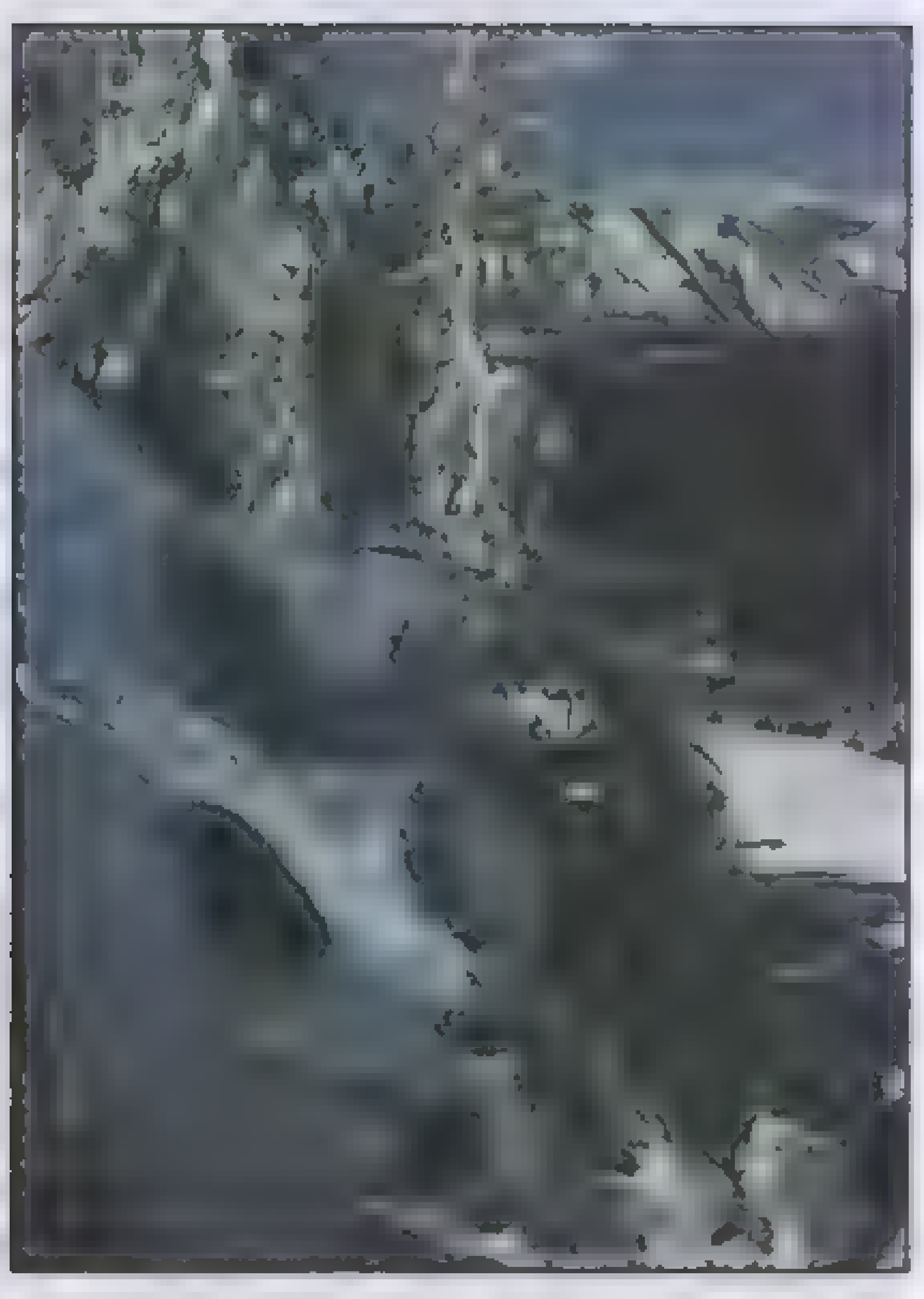
هدأت العاصفة الثلجية فى الثامن من يناير ، وسمع الزوجان فى التاسعة من صباح ذلك اليوم هدير طائرة هليكوبتر . فأمسك هارفى بسويتر أحمر اللون ، وأخذ يلوح بجنون وهو يصرخ ، إلا أن الطائرة ابتعدت دون أن تلحظهما . وبعد الظهر شاهدا طائرة خفيفة على ارتفاع عال ، وقال هارفى فى صوت منكسر : « إنهما لم يشاهداننا ! ولكنهم لن يتوقفوا عن البحث ، وسيعودون حتمًا »

أشرقت الشمس أيضًا فى صباح اليوم التالى ، وكان هارفى يعرف أنه يجب عليهما العودة إلى أسفل الجبل ، إذا لم تأت النجدة . ولكنه كان يعرف أيضًا أن تحركهما نزولا فى ذلك الوقت يعد انتحارًا ، فالثلوج التى سقطت

لأيام مضت لا تصلح للانزلاق عليها . ولابد من الانتظار فترة حتى تكمن الثلوج الهشة فى أماكنها ، وتتراص فى طبقة واحدة ملساء متماسكه .

كان والد باتريشيا قد أبلغ مقر قيادة الشرطة فى قرية شامونى تليفونيًا أن ابنته وزوجها لم يعودا إلى منزلهما فى اليوم السابق ٤ يناير ، كما لم يتصلا تليفونيًا ، ولابد من البحث عنهما فى جبل مون بلان باعتبارهما مفقودين . وعندما استجوبت السلطات مدير فندق دى تور ، لم يتذكر سوى أن الزوجين كانا متوجهين إلى هضبة لوبوابيه . وعندما هدأت العاصفة الثلجية ، بدأ رجال شرطة الجبال فى البحث على الأقدام . كما حلقت طائراتهم فوق ممر إنترين وهضبة لوبوابيه ، ولكن على ارتفاع عال بسبب أبراج وأسلاك كهرباء الضغط العالى .

ومع مرور الأيام ، توقفت فرق الإنقاذ عن البحث . إذ إنه من المستحيل أن يبقى الزوجان على قيد الحياة لمدة عشرة أيام ، وسط عواصف ثلجية عارمة ، ودرجة حرارة منخفضة وصلت إلى 25 درجة مئوية تحت الصفر . وأخذ ضابط فرق الإنقاذ يهيئ أهل الزوجين لأسوأ الاحتمالات ، وهو يختار كلماته بكل ما أوتى من لباقة وثقافة وأخلاق .



جانب من هضبة لوبوابيه فوق جبل مون بلان ، من ناحية الحدود الفرنسية

وفى يوم 12 يناير تأكد الزوجان أن البحث عنهما قد توقف . فقد انقضت أيام منذ رؤيتهما الطائرتين . ولم يعد لديهما من أمل سوى الاعتماد على الله وعلى أنفسهما ، وأخذا يصليان بحرارة ويضرعان إلى الله أن ينقذهما من محنتهما . وبعد فترة قالت باتريشيا : « يجب أن نعود من حيث أتينا ، ولابد أن نخرج أنفسنا من هذه الورطة ! » . واقترحت على زوجها أن يأخذ معه ما تبقى من طعام ، وأن يذهب للبحث عن نجدة . ولم يحبذ هارفى فكرة الذهاب وحيدًا والتخلى عن زوجته ، إلا أنه انطلق يتسلق جرفًا نحو ممر إنتربين . وبعد أكثر من ثلاث ساعات مرهقة ، رأى غيومًا تندفع نحوه منذرة بسقوط الثلج ، فعاد إلى الخيمة .

فى صباح اليوم التالى ، وجد الزوجان أن الثلج قد غمر جوانب الخيمة بحوالى نصف متر ، فأخذا يجرفانه بعيدًا . وعندما خلع هارفى حذاءه وجواربه فى تلك المساء ، وجد أصابع قدميه متورمة وزرقاء اللون . ولم يكن فى استطاعته أن يفعل شيئًا لوقف تيبس الثلج على أنسجة قدميه . وخطر له أن يشرب كمية كبيرة من المياه لوقف هذا التبريد ، ولكن ما تبقى منها لم يكن كافيًا لهما . فاضطر إلى التهام بعض حبيبات الثلج ، برغم أنه يعرف أنها سوف تعمل على خفض حرارته الداخلية .

احتجزتهما العاصفة ليومين آخرين ، وأمضيا الوقت فى كتابة وصيتهما مع بعض رسائل الوداع الخاصة باستسلام هادئ بعد أن نفد طعامهما ، وتقبلا فكرة الموت معًا ، بعد أن فقدا كل أمل . وفى نهاية اليوم صرخت باتريشيا فجأة : « لا أريد أن أموت الآن ، فلدى الكثير كى أفعله قبل أن تحل النهاية ! » وأخذت تصلى فى صمت ، ثم أخذت تمارس اليوجا لاستعادة هدوئها وسيطرتها على نفسها وأفكارها . ومن الواضح أنها كانت أكثر عزمًا وتصميمًا وتمسكًا بالحياة من زوجها الذى استسلم لمصيره ، دون أن يبذل أقصى جهد لإنقاذ نفسه وزوجته .

قررت باتريشيا فى حزم الرحيل فى صباح اليوم التالى ، مهما كانت حالة الطقس ، وقالت فى هدوء وتصميم «سنرحل الآن ! » . والواقع أنه لم يكن لديهما ما يفقدانه أكثر من ذلك ، بعد أن اعتبرا نفسيهما فى عداد الأموات .

ولكن نظرًا لضعفهما الشديد فقد استغرق جمع حاجياتهما عدة ساعات . وعند الظهيرة اندفعا فى العاصفة نحو شلمونى . وسارا ثلاثة أيام ، لم يتناولا خلالها طعامًا سوى حبيبات الثلج . وفى اليوم التالى اشتدت العاصفة ، حتى بلغت سرعة الرياح

محطة كانتين التى تقع على الطريق نزولاً إلى قرية شامونى الفرنسية

120 كيلومترًا فى الساعة ، وانعدمت الرؤية ، وتعذر عليهما متابعة السير . فتمددا فى كيس نومهما ، وهما يتساءلان عن موقعهما ، وعن مدى تحمل خيمتهما للعواصف العاتية .

انقشع الضباب فى اليوم التالى ، وشاهدا سطح بحيرة إنترين الصغيرة فقررا الرحيل وتسلق 200 متر أخرى نحو مدخل الممر . وأخذا فى حزم أمتعتهما فى بطء . وبعد ست ساعات أخرى وصلا إلى الممر ، ثم اتجها للهبوط حوالى 250 مترًا نحو محطة كانتين التى تقع على الطريق إلى شامونى . ولكن مدخل الكوخ فى المحطة كان مغلقًا بألواح خشبية ، وعلى النوافذ قضبان حديدية . فاضطرا إلى إقامة خيمتهما بجانب الكوخ للمرة الأخيرة .

تابعا سيرهما فى صباح اليوم التالى ، نزولاً فى طريق ضيق ، جدرانه من الثلوج التى قد تنهار عليهما فى أية لحظة . ولكنه كان فرصتهما الأخيرة ، ولم يعد لديهما من القوة للالتفاف وأخذ طريق آخر . واستمرا فى سيرهما يحدوهما الأمل فى نهاية قريبة لمتاعبهما ، متناسين ما يعانيانه من ألم وجوع .

حوالى الخامسة من عصر 22 يناير ، شاهدا أحد المتزلجين

شابين غريبين يسيران فى الأخدود الثلجى ، فاقترب منهما « هل أنتما الشابان اللذان يبحث عنهما الجميع ؟! » .
فقالت باتريشيا : « .. أعتقد ذلك » .

أخذ أطباء مستشفى شامونى فى علاج الزوجين من تيبس الثلج . وكان من الضرورى بتر أصابع قدمى هارفى كلها بعد أن تلفت أنسجتها ، وفقد 15 كيلوجرامًا من وزنه . أما باتريشيا فلم تصب بسوء ، سوى أنها فقدت 12 كيلوجرامًا خلال 22 يومًا من الضياع فى جبال الألب . واستغرقت فترة النقاهة الطبية حوالى ستة أشهر فى مقر إقامتهما فى مدينة ميللو . ثم عادا إلى عملهما بالتدريس ، بعد أن أكسبتهما المحنة تماسكًا أقوى ، وفهمًا أعمق للحياة ، وأصبح شروق الشمس فى كل يوم جديد فى حياتهما له معنى آخر .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Der Spiegel Magazine , An Article by Katrin Gullstrand , dated Sept . 1981

Brandstwiete 19, 20457 Hamburg , Germany

تعطلت بوصلته فى الغابة ..

[بقلم : فيليب هولدين]

اتفق لاورى موريس Laurie Morris – 47 سنة ، مع زوج ابنته ستيفن Steven – 31 سنة ، على القيام برحلة للصيد فى عطلة نهاية الأسبوع . حيث يعمل الاثنان كفنيين بأحد المصانع فى مدينة أوكلاند Aucland فى شمال نيوزيلاندا New Zealand . وفى اللحظة الأخيرة قرر ابنه كيث Keith – 18 سنة – أن يصطحبهما مفضلاً ذلك على التمرين مع فريق كرة القدم المحلى .

وفى الصباح الباكر من يوم 27 مايو 1977 ، انطلقت المجموعة فى سيارة لاند روفر من ميناء أوكلاند ، وقد اصطحب كل منهم بندقيته ، مع الكثير من المعدات والأغذية والمعلبات المحفوظة والمشروبات تكفى لخمسة أيام . برغم أن لاورى أكد لزوجته مارجريت Margret ، أنهم سوف يعودون بعد يومين أو ثلاثة على الأكثر .

بعد أن قطعوا جنوبًا حوالى 220 كيلومترًا ، وصلوا إلى مشارف جبال كامانوا Kaimanawa ، فى منتصف الجزيرة

الشمالية لنيوزيلاندا ، والتى يبلغ ارتفاعها 1727 مترًا ، وينبع منها دستة من الأنهار المتعددة ، تصب فى شرق وغرب وشمال الجزيرة . ولذلك فإنها تجتذب هواة إقامة المعسكرات لأيام فى الخلاء ، وكذلك من هواة صيد الأسماك والغزلان والحيوانات البرية ، بتصريح من السلطات المختصة فى المنطقة . ثم استقروا فى كوخ خشبى لأحد أصدقاء لاورى بالقرب من الجبال . بعد تفريغ حمولة السيارة داخل الكوخ ، لم يطق الابن كيث صبرًا ، واستأذن من والده للقيام بجولة سريعة فى أطراف الغابة ، والعودة عند الظهيرة .

تسلق كيث المرتفعات المقابلة للكوخ ، حتى وصل إلى منطقة الغابات الكثيفة . وأخذ يجول لمدة ساعة ، حينما وجد نفسه محصورًا فى مضيق ضيق تنتصب جدرانه بشكل عمودى ، فسار فيه لمسافة حتى قابله أخدود عميق وكان فى إمكانه العودة من حيث أتى من نفس الطريق ، ولكنه لاحظ بعض جذوع الأشجار المتآكلة ، تربط بين حافتى الأخدود الصخرى كجسر طبيعى . وقدر أنه يمكنه الوصول إلى الطرف الآخر ، بالسير فوق هذه الأشجار الجافة .

لم يتحمل الجذع المتآكل ثقل كيث ، وهوى به إلى الأخدود وهو فى منتصف المسافة تمامًا . وسقط الشاب على صخور القاع بعنف ، من ارتفاع حوالى سبعة أمتار ، حيث فقد وعيه على الفور . وعندما أفاق من غيبوبته ، كان المساء قد حل بالفعل . وأخذ كيث يستكشف ما حل به ، ولحسن الحظ أنه لم يصب بكسور أو نزف . ولم يتعد الأمر سوى بعض الخدوش السطحية . واستعاد بندقيته بجانبه ومعداته المتناثرة ، وأخذ يحاول صعود الأخدود ، متعلقًا بالصخور الجانبية الناتئة ، إلى أن استطاع الصعود مرة أخرى . وبعد فترة راحة قصيرة ، قرر العودة إلى الكوخ فى الحال .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف مساءً ، حينما بدأ كيث رحلة العودة . وبعد أن قطع حوالى 200 متر ، بدا له أن يتأكد من اتجاهه الصحيح نحو الغرب ، حينما اكتشف أن بوصلته قد تلفت عند سقوطه ، ولم يعد يدرى فى أى اتجاه تقوده قدماه . وأصابه ذلك الأمر بقلق شديد ، واضطراب شامل ، فجلس بجوار شجرة يستجمع هدوء نفسه وصفاء عقله ، ويفكر فيما يمكن أن يفعله . وقرر أن يبقى فى مكانه حتى الصباح ، فهو

متعب وضائع ومشوش . واتخذ من بعض فروع الأشجار الساقطة الكثيفة ، ملجأ لـه من برودة الليل . وتنـاول قطعة من الحلوى لتزوده بالطاقة ، وادخر ثلاث قطع أخرى لليوم التالى ، ونام بسبب الإرهاق .

كـان القلق قد انتـاب والـده لاورى موريس ، حينمـا مرت ساعة ونصف الساعة على منتصف النهار ، ولم يعد ابنه كيث من جولته . وفى الثالثة عصرًا كان قد تأكد من أن شيئًا ما قد وقع لابنه . فتوجه على الفور إلى محطة الأغنـام فى بورونـوى Poronui علـى بعـد 18 كيلومـترًا شمالاً ، لإبلاغ البوليس فى مقاطعة تاوبو Taupo .

وصلت فرقة الإنقاذ بعد منتصف الليل إلى الكوخ لمقابلة الأب الحائر . وقـام الضـابط إيـان لوكاس Ian Lucas ـ 30 سنة ـ المتخصص فى عمليات البحـث والإنقـاذ ، بتقسيم رجالـه إلى فريقين ، كل منهما من أربعة رجال ، ومزودين بأجهزة لاسلكى . مع ترك جهاز آخر مع الأب للاتصـال بهم فـى حالة عودة كيث . وبرغم أن حالة الجو بدأت تسوء قبـل الفجر ، فقد أكد الضـابط لـلأب بأنهم سـوف يعثرون على ابنـه عنـد الصـباح . وقـال له مشجعًا : إن ابنـه



مازال شابًا ، وقوى البنية ، ويرتدى ملابس ثقيلة من الصوف ، وغطاء كتف مضاد للماء Balaclava . كما أن معه بندقية جيدة ، من طراز « لى ـ أنفيلد » عيار 303 من البوصة ، يمكنه بوساطتها الاصطياد لتوفير طعام له .

استيقظ كيث فى الصباح ، وانطلق فى الاتجاه الذى رآه مناسبًا . واضطر قرب الظهيرة للتوقف ، والبحث عن ملجأ له تحت أشجار الأوكاليبتوس Eucalyptus الضخمة ، يحميه من الأمطار الغزيرة . وشعر فى مكمنه بمدى عزلته ووحدته وضياعه . وحل الليل بسرعة على الغابة ، بما يحمله من سكون وبرد وكآبة . وعثر كيث على بقعة جافة تحت جرف ناتئ . كان يرتجف تحت ملابسه المبللة ، وبدأ يعانى من تقلص معدته من الجوع . ولم يكن فى استطاعته إشعال النيران بعيدان ثقابه الرطبة . وغفا قليلاً ، قبل أن يصحو على الأصوات المخيفة التى تتردد فى جنبات الغابة المظلمة .

لم تكن والدته فى ضاحية جلينفيلد Glenfield بميناء أوكلاند تعلم بما يجرى . وتلقت مكالمة تليفونية فى التاسعة من صباح اليوم الثالث من صديق للأسرة ، بأن

الراديو قد أذاع خبر فقد ابنها فى الغابة . ولم تستطع الأم مارجريت أن تقول شيئا ، ووضعت السماعة وهى ترتجف من الصدمة .

أخذ كيث يجول فى الغابة طوال اليوم الثالث على غير هدى ، وكانت الأشجار كلها تبدو له متشابهة . وبعد الظهر جلس القرفصاء تحت شجرة عالية من أشجار الزان Beech ، وأخذ يردد بصوت عال لنفسه : « .. إننى سوف أموت ! ، إننى لن أخرج من هذه المحنة ! » . ولكن سرعان ما استرد ثقته بنفسه ، متذكرًا كلمات والده بأن الفزع وحده قاتل رهيب ، وقرر أن يبذل كل جهده .

اتجه ذهن كيث إلى الصيد للإبقاء على حياته ، ولكنه لم يلاحظ فى منطقته أيًا من التوت البرى Berry أو الثمار أو الحشائش . وطالما لا تتواجد مثل هذه الأشياء ، فإنه ينعدم وجود الغزلان أو الأرانب البرية Hare ، وسمع صوتًا بدا له أنه طائرة ، فأسرع بإشعال النيران حيث كوم مجموعة من الأوراق وفروع الأشجار ، وبمعجزة اشتعل عود الكبريت ، وتصاعد الدخان ، كانت الطائرة تغدو وتروح فوق المنطقة ، ولكن هبت رياح قوية ففرقت الدخان وابتعدت الطائرة .

كان الأب لاورى ، مع زوج ابنته ، ينتظر فى الكوخ أى خبر سعيد عن ابنه المفقود عبر جهاز اللاسلكى ، ولكن دون جدوى .

عثر كيث فى اليوم الرابع على نهر عرضه حوالى 30 مترًا ، واعتقد أنه نهر موهاكا Mohaka الذى يصب فى خليج هوك باى جهة الشرق . ولكنه كان فى الحقيقة نهر تورانجا تابو الذى يجرى فى الاتجاه الآخر ناحية الغرب . ومهما يكن من أمر ، فقد قرر كيث أن يتبع مجرى النهر ، فلابد أنه سينتهى إلى مكان ما . وسار مع اتجاه التيار Downstream ، إلى أن وجد نفسه فى نفس مصيدة الموت التى وقع فيها من قبل . فدار بعيدًا بحذر ، إلى أن جاء لضفة النهر ، وخلع ملابسه وكومها مع البندقية عاليًا فوق رأسه وخاض فى النهر إلى الضفة الأخرى .

كان هناك أكثر من 200 رجل ينتشرون فى ذلك الوقت على بعد حوالى كيلومترين نحو الشمال ، فى أكبر عملية بحث فى نيوزيلاندا . واشترك فى البحث أيضا طائرة أخرى من طراز سيسنا Cessna ، مع طائرة هليكوبتر تابعة للبوليس ، ولكن للضباب الكثيف والأمطار المستمرة والرياح الشديدة ، عاقت بشكل كبير عمليات البحث . وخشى أكثر المتفائلين من رجال الإنقاذ ، من أن الفرص المتاحة للعثور على كيث ، تتآكل بسرعة .

وقضى كيث ليلته الخامسة بين الأشجار ، وقد انتابه الخوف والحزن على والديه ، وما قد سببه لهما . واستيقظ فى صباح اليوم التالى وقد تجمدت ملابسه من البرد فأخذ يمارس التمارين الرياضية لتنشيط دورته الدموية . وبرغم الضباب الكثيف ، أخذ يتنقل فى الغابة الكثيفة إلى أن وصل إلى مكان فسيح هادئ تمامًا . وبعد استراحة قصيرة واصل السير ، حينما سمع صوت طائرة هليكوبتر Chopper ، فهرع إلى المكان الفسيح الواسع ، وأخذ يصيح ويلوح ، ولكن الطائرة اختفت بعيدًا ، فجلس على الأرض يستوعب ما حدث .

استأنف كيث سيره فى الغابة ، إلى أن وجد نفسه مرة أخرى فى مكان ما لنفس النهر . وأخذ قلبه يدق بشدة ، حينما شاهد علامة محفورة بعمق فى جذع شجرة . وقادته العلامة مع بعض الحظ إلى كوخ خشبى داخل الغابة ، حيث عثر بداخله على المزيد من الأطعمة والأخشاب الجافه للنيران مع علب الثقاب ، عدا المياه الجارية .

برغم الثلج المبهر والضباب الكثيف شاهد علامة أخرى ، وقاده الطريق المتشعب داخل الغابة إلى كوخ

آخر من جذوع الأشجار بالقرب من مسقط للمياه ، على بعد حوالى 6,5 كيلومتر من الكوخ الأول . وعادت الثقة إلى نفس كيث ، وأخذ يضحك عاليًا « .. سوف أعيش ! » . ثم أخذ يصلى شاكرًا إلى الله أن هداه إلى الطريق السليم .

وقاده ذلك إلى علامة أخرى ، فواصل السير حتى وجد نفسه أمام نهر آخر على بعد حوالى سبعة كيلومترات . ولكنه وقف حائرًا فى أى اتجاه يذهب ، وسار فترة مع التيار ، ثم ضد التيار Upstream ، ولكنه لم ير شيئا . كانت الساعة قد بلغت السادسة مساءً ، وحل الظلام والبرد القارس . فنام تحت مجموعة متشابكة من الأغصان المقطوعة .

كان الثلج يتساقط بكثافة فى صباح اليوم السادس ، والرياح الباردة ، تهب بشدة . فشعر كيث بالإحباط ، وأن الطبيعة أصبحت تناصبه العداء ، فعاد إلى مأواه ونام . وعندما استيقظ كان المساء قد حل بالفعل والجو على سوئه . ولم يجرؤ كيث على مغادرة مكانه طوال اليوم السابع لنفس السبب .

كان كيث على وشك الانهيار فى اليوم الثامن من



غطى الثلج المتساقط لعدة مرات ، بيض ... ثم أجبر كيث على المكوث فى مخبئه تحت الأغصان لأيام

الأمطار الثلجية Sleet ، وكثافة الثلج من حوله . وكان أخشى ما يخشاه أن يصاب بفقد الحرارة Hypotherma التى تؤدى إلى تلف الأنسجة أو الموت من التجمد . وشاهد على بعد 40 مترًا منه مجموعة من الغزلان ، فأطلق بندقيته ولكن الرصاصة أخطأت هدفها . وتوقف هبوط الثلج فى وقت متأخر من الليل ، ولكن الرياح الباردة استمرت طوال الوقت .

فى صباح اليوم التاسع ، لم يقو كيث على النهوض ومتابعة السير بسبب البرودة الشديدة ، فآثر الراحة فى مكانه حتى يستجمع قواه ، فلم يعد يهم إن تأخر أكثر من ذلك . وفى نفس اليوم توقف البحث عنه ، واعتبرته السلطات فى عداد الأموات . وعاد لاورى مع زوج ابنته إلى أوكلاند وهو يفكر طوال الطريق كيف يواجه زوجته مارجريت بدون ابنهما .

فى صباح اليوم العاشر ، سطعت الشمس ، وأيقظت أشعتها كيث من نومه . وكان هذا نذيرًا طيبًا منذ عشرة أيام ، مما أثار نفس كيث ، وامتلأ بالحيوية والنشاط والأمل . وتوجه نحو تل مرتفع على بعد قليل منه ، ثم

أخذ يتسلق المنحدر الحاد ، وهو يتمسك بالجذور والحشائش للارتقاء بصعوبة .

حينما وصل إلى أعلى التل ، وقد علقت الحشائش والجليد والأوحال بملابسه ، أخذ ينظر غير مصدق نحو بحيرة تاوبو Lake Taupo ناحية الغرب . فأسرع بالنزول وقد عرف لأول مرة اتجاهه الصحيح . وقرب المساء شاهد عن بعد أضواء المصابيح الكهربائية فى البيوت المتناثرة فى المحطات والمزارع .

وصل إلى أقرب محطة ، وفتح باب المزرعة الخارجى ، ثم توجه نحو المنزل ، وطرق الباب . ومرت لحظات طويلة وفُتح الباب ، فقال متلعثمًا « أنا كيث موريس . إننى الشخص الذى فقد فى الجبال ! » . ومثل أى شخص فى المنطقة ، كان كيفن جونستون Kevin Johnston ، وزوجته جلوريا Gloria ، يعرفان المأساة ويصليان برجاء ألا يتبدد الأمل ، وفتح جونستون ذراعيه على امتدادهما مرحبًا . وأسرع كيث بمخاطبة والده تليفونيًا ، قبل أن يتناول أى طعام أو شراب قُدم له .

فقد كيث من وزنه 13 كيلوجرامًا خلال محنة الأيام

العشرة ، واستنزف الكثير من الحديد من الهيموجلوبين فى دمه . ويقول الأطباء بعد فحص شامل إنه قد أصيب بارتجاج فى المخ Brain Concussion عند سقوطه فى الأخدود الصخرى مما أدى إلى فقد القدرة ـ مؤقتا ـ على التفكير السليم ، وعانى كيث لفترة من تيبس الثلج Frostbitten أو « قرصة الصقيع » فى أصابع يديه وقدميه ، ولكن الأنسجة لم يصبها التلف . ويعرف كيث الآن ، أن عناية الله قد شملته فى ظروف صعبة . كان من الممكن أن تقتله بسهولة .



بتصرف مختصر عن المصدر :

[illegible]

The Mountain » by Philip Holden , dated March 1982

Pleasantville , N.y. 105?0 , U. S. A.

تائه فى أدغال الأمازون ..

[بقلم : إيفيلين ووج]

كان الجيولوجى سكوت لورنس Scott Lawrence ضمن بعثة علمية بريطانية تبحث عن المعادن والذهب والماس والأحجار الكريمة ، فى المرتفعات المحيطة بمنابع نهر ترومبيتاس Trombetas فى شمال البرازيل ـ وهو نهر فرعى يصب نحو الجنوب فى نهر الأمازون Amazon العظيم ـ أطول أنهار العالم . وحدث أن تقلب زورقه وسط دوامات النهر العارمة ، وغرق دليله من أهالى المنطقة مع المعدات . بينما استطاع هو مقاومة التيار الجارف ، والتعلق بمجداف الزورق ، والسباحة حتى الشاطئ .

ظل لورنس لأيام يجهد فى الوصول إلى معسكر البعثة ، وسط حرارة عالية ورطوبة خانقة ، متتبعا شاطئ النهر ، حتى أصابته الحمى . عثر عليه بعض الهنود الأمريكيين الذين يعيشون فى المنطقة من قبيلة الباى ـ واى Pay - way بين شمال البرازيل وجنوب جويانا « البريطانية » Guyana . وحملوه معهم إلى قريتهم فى الشمال ، لعلاجه بالأعشاب الطبية التى يعرفونها جيدًا .

أحراش غابات الأمازون شمال البرازيل ، حيث أصيب لورنس بالحمى

توجه أحد رجال القبيلة لإبلاغ مستر تود Tod ، الذى يعيش في المنطقة ، بوجود رجل أبيض مصاب بالحمى فى القرية ، على بعد ثلاثة كيلومترات من مقره ، فهمّ إلى لقائه . واسم هذا الرجل الغامض تيرى تيوبالد Terry Theobald ، يعيش فى المنطقة منذ نحو 40 سنة ، وقد عرف بين أهالي المنطقة باسم « تود » وقد اختار موقعًا منعزلاً عن قرى الهنود لإقامة منزله عند منابع نهر إسكويبو Essequibo في جنوب جويانا ، ويصب ناحية الشمال فى المحيط الأطلنطى . وقد أحاط منزله بمزرعة واسعة للماشية ، وأشجار المانجو والموز . وباعتباره رجلاً نصفه إنجليزى ، فكان يعيش وحيدًا ، واكتسب ثقة المواطنين ، ويقوم بين الحين والحين برحلات متباعدة نحو موانى الشمال ، ليبيع قطع الماس الخام التى يحصل عليها من الهنود ويشترى احتياجاته الخاصة ، ويهمه بالطبع ألا يتردد الغرباء على المنطقة ، خاصة المستكشفين والباحثين عن الثروات .

فلما قابله ، كان لورنس غارقًا فى العرق ، ويعانى الهذيان ، وقد تورمت قدماه ، ونهشته الحشرات وأشبعته لسعًا . طمأنه تود ، وأصر على اصطحابه إلى منزله ،

وطلب من مجموعة من الهنود الأمريكيين بحمله فوق محفة ، فلم يكن فى إمكانه قطع هذه المسافة .

وهناك فى المزرعة ، أعطاه تود شرابًا محليًا من الأعشاب ليخفف من آلامه ويخفض من درجة حرارته ، ثم راح فى نوم عميق . وعندما استيقظ عند المساء ، وجد تود بجانبه ، فسأله الرجل « .. إنك تتكلم الإنجليزية ، وأنا أيضًا إنجليزى ، واسمى لورنس » . فأجابه تود : « حسنًا يامستر لورنس . هون على نفسك الآن ، ولاداعى للقلق . فسوف أتولى العناية بك »

أخذ تود طوال أيام يعالجه بجرعات منتظمة من الأعشاب الطبية ، وتغطية تقرحات جلده بمسحوق خاص . وهبطت الحمى ، وانقضت نوبات الهذيان ، واستعاد لورنس وعيه أخيرًا ، وإن كان مازال يعانى الضعف الشديد . وقال له تود : « .. إن فى الغابة من حولنا أدوية لكل شىء ، ونحن نصنع منها العقاقير الطبية للعلاج . وكانت أمى من الهنود المحليين ، وقد علمتنى الكثير منها »

• ولكنك تقول إنك إنجليزى ، وتتكلم الإنجليزية ؟

• هذا صحيح . لقد كان أبى إنجليزيًا . وقد قدم إلى هذا المكان من جزيرة باربادوس Barbados فى البحر الكاريبى فى بعثة تبشيرية . واختلط بقبائل جنوب جويانا وشمال البرازيل . وقد مضى حوالى 20 سنة على وفاته . كان رجلًا متعلمًا يحب القراءة . هل تعرف القراءة ؟!

• بالطبع أعرفها .

• ليس ذلك من شأن كل إنسان . فأنا مثلًا لا أعرف القراءة .

• لا شك أن الفرصة هنا غير مواتية للقراءة .

• بل يوجد هنا عدد كبير من الكتب ، وسوف تراها . وكان هناك رجل مُتعلم أقام معى لسنوات . وكان يقرأ لى بصوت عال كل يوم . وارجو منك أن تقرأ لى أيضًا ، عندما تتحسن صحتك .

• يسعدنى ذلك بالطبع .

جاء الشتاء بطيئًا ، ولكن لورنس بدأ يستعيد وزنه وقوته ونشاطه . ثم اصطحبه تود فى نزهة قصيرة داخل حديقته التى تبلغ عدة كيلومترات مربعة ، تحيط بها

الغابة من كل جانب عن بعد . وأسهمت هذه النزهات اليومية فى الإسراع بنقاهته ، وبدا لورنس فى أحسن حال .

وفى يوم اصطحبه تود إلى كوخ خشبى منعزل بالقرب من منزله ، كى يطلعه على الكتب . وكان هناك أرفف كثيرة تغطى جدران الكوخ الداخلية ، وبها أكوام من الطرود الصغيرة الملفوفة بعناية . فكل مجموعة من الكتب مغلفة بأوراق النباتات العريضة المجففة ، ومربوطة بأحزمة من الجلد وقال تود يشرح لضيفه : « لقد عانيت كثيرًا فى الحفاظ على هذه الكتب من النمل . والديدان والقوارض . وبنيت هذا الكوخ من جذوع أشجار الكافور Camphor الطارد للذباب والناموس والحشرات . وفى كل شهر يجرى رش مسحوق خاص طارد للثعابين والقوارض داخل الكوخ وحوله من كل جانب . ومع ذلك أتلفت الحشرات مجموعة منها ! »

تناول تود سلمًا خشبيًا ، وأحضر إحدى اللفافات وفك أحزمتها وأغلفتها ، ثم أخذ كتابًا منها بعنوان بليك هاوس Bleak House ، الذى كتبه الروائى الإنجليزى

تشارلز ديكنز Dickens عام 1853 . وسأله لورنس : « هل تحب ديكنز ؟ » . فأجابه تود : « إنه مؤلفى المفضل . وأعرف كل كتبه ، وقد سمعتَها مرات ، ولا أملها أبدًا ، فهى زاخرة بالمعانى والألفاظ ، وتفاجئك كل مرة بتفاصيل جديدة ، بشخصياتها المتعددة الغريبة »

قال لورنس : « ولكن قراءة مؤلفات ديكنز وحدها ، تستلزم وقتًا طويلاً . حوالى سنتين ! وهذا أطول مما ستستغرقه زيارتى ! »

فأجابه تود « .. إذن علينا أن نبدأ الآن فى القراءة . ولتختر أنت ما تريده من كتبه » . وهكذا بدأت جلسة القراءة الأولى عصر ذلك اليوم . وكثيرًا ما كان تود يكرر اسم شخصيةٍ نسيها فى الرواية ويقاطع لورنس ليسأله عن رأيه فى بعض الأحداث . وفى نهاية الجلسة شكر تود ضيفه لما تكبده من عناء ، وتوجها نحو المنزل للعشاء .

وتوالت الأيام ، حيث كان تود يشكر ضيفه بأدب جم فى نهاية كل جلسة للقراءة . وذات يوم قال له لورنس : « .. آمل أن أنتهى من رواية بليك هاوس .. أى المنزل الكئيب .. قبل رحيلى ، فقد أثقلت عليك ، ولا بد من العودة إلى المدينة » .

ولما التزم تود الصمت ، استطرد لورنس متسائلاً : « إننى أقدر حسن معاملتك وكرم ضيافتك ، ولكنى يجب أن أعود إلى بلادى . فمتى يمكن أن أجد قاربًا ؟ . فقال تود : « لقد جازيتنى بالفعل بقراءتك .. » . فقال لورنس يسأل : « عذرًا لما فى كلماتى من إلحاح . ولكن متى يمكننى الحصول على قارب ؟ »

- ولكن لا يوجد هنا قوارب .
- ربما تمكن الهنود من صنع قارب يقلنى .
- ولكن عليك الانتظار حتى موسم الأمطار ، فليس هناك مياه كافية فى النهر الآن .
- وإلى أى مدى يطول الانتظار ؟
- يطول شهرًا أو اثنين ، على أقصى تقدير .

خلال فترة الانتظار تناولت جلسات القراءة ، قصصًا جديدة لديكنز . وهكذا جرى الانتهاء من قصة ديفيد كوبرفيلد David Copperfield وقصة الأوقات العصيبة Hard Times ، حينما حل موسم الأمطار . فقال لورنس : « لقد آن وقت الاستعداد للرحيل » . فقال تود : « ولكن هذا مستحيل !



فمعتقدات الهنود تمنعهم من صناعة القوارب فى موسم الشتاء . ولابد من الانتظار شهرًا أو شهرين ! »

ومرت الأيام ، انتهيا فيها من قراءة قصص نيكولاس نيكلبى Nicholas Nickleby ، ودوريت الصغيرة Little Dorrit وأوليفر تويست Oliver Twist .

وفى يوم جاء أحد الهنود ، وتحدث طويلاً مع تود بلغتهم المحلية . وفى مساء نفس اليوم ، اقترح تود على لورنس أن يصطحبه فى اليوم التالى لمشاركة هنود الباى داى فى أحد أعيادهم . وفى القرية كان الهنود ينشدون فى نغمة رتيبة ، ويقفزون فى ملل حول النيران . وبعد أن تناولا طعامًا من اللحوم المشوية ، أحضروا قدحين من مشروباتهم لتود وضيفه . وقال تود : « عليك تناولها مرة واحدة ، فهذه هى العادات والآداب المتبعة عندهم ! » . وهكذا فعل لورنس ، حيث وجد الشراب مقبولا ، وشعر بعدها بالكثير من الرضا . وبعد فترة ، قُدم إليه كوب آخر ، استلقى بعده على ظهره ، وأخذ يراقب ظلال الراقصين ، ويفكر فى زوجته ، حتى غلبه النعاس . استيقظ لورنس من نومه ، فوجد نفسه فى

نفس الكوخ بالقرية . وبحث عن ساعته فلم يجدها حول معصمه فأخذ يجر قدميه إلى منزل مضيفه ، حيث وجده جالسًا فى الشرفة . فرحب به وقال له : « لقد تأخرت ياصديقى كثيرًا عن جلسة القراءة ، والشمس على وشك الغروب . هل أنت بخير ؟ »

- لست على ما يرام . فهذا الشراب لايناسبنى أبدًا .
- سأعطيك شيئًا ينعشك .
- يبدو أننى فقدت ساعتى فى القرية ، خلال نومى بالأمس .
- ... لقد نمت طوال يومين !
- ولكن هذا لا يمكن !
- ومع ذلك فقد حدث ، وفاتك أن ترى ضيوفنا !
- أى ضيوف تقصد ؟
- ثلاثة من الإنجليز كانوا يبحثون عنك . ولكن ماذا كان فى إمكانى أن أقول لهم ؟ . لقد كنت مستغرقًا فى



نوم عميق . وبما أنك لم تستطع أن تستقبلهم بنفسك ، فقد أعطيتهم ساعتك تذكارًا منك . فقد كانوا يريدون شيئًا يأخذونه إلى زوجتك !

نظر لورانس فى عينى تود مباشرة ، وقد أدرك أنه خُدع ، وأنه يريد أن يستبقيه لكى يكون قارئه الخاص لكتبه العديدة . لم يقل شيئًا ، وإنما جلس ببطء يفكر فيما وصل إليه . لم يكن ذلك خطأ تود ، وإنما خطؤه هو ، إذ أسلم قيادته لشخص آخر له مصالح خاصة ، دون أن يبحث الأمور بطريقة أكثر جدية وعمقًا . وكان عليه من هذه اللحظة أن يعتمد على نفسه ، فى إيجاد وسيلة للإبحار عبر النهر نحو الشمال إلى العاصمة جورجتاون Georgetown . أو حتى بالسير بمحاذاة الشاطئ فى اتجاه التيار حتى نهايته .



بتصرف مختصر عن كتاب :

Handful of Dus

New york . U.S.A

متاهة البحث عن المدينة المفقودة ..

[بقلم : ويلبور سميث]

سمعت عن مدينة كالاهارى Kalahari المفقودة منذ طفولتى فى جمهورية زيمبابوى Zimbabwe ـ روديسيا سابقًا ـ مما جعلنى بعد ذلك مفتونًا بالأنقاض الأثرية المنتشرة فى دول جنوب إفريقيا . تدفعنى روح الحماسة والانطلاق نحو المجهول ، فضلاً على أننى أشعر بأننى جزء من الكيان الإفريقى ، كما هو حال تلك الأحجار القديمة . ولقد أمكننى بعد ذلك ـ حينما تزوجت وأقمت فى جمهورية جنوب إفريقيا ـ أن أعثر على العديد من الإشارات عن هذه المدينة فى الكتب التى تتناول أساطير القبائل . وقد أمكننى بالفعل أن أجمع مادة كافية لإصدار كتاب بعنوان «طائر التميز» عام 1972 ، عن قصة حضارة ضائعة .

لم يكن أحد قد شاهد تلك الأنقاض فى الواقع ، ولكن حدث أن انحرف أحد الطيارين عن ممره الجوى المصرح به فوق صحراء كالاهارى فى جمهورية بوتسوانا Botswana ، وشاهد تلك الأنقاض ، وحدد لنا مكانها على الخريطة .

ذهبت مع زوجتى دانيالا Daniala إلى العاصمة جابورون Gaborone واستأجرنا هناك طائرة خاصة مع تصريح من سلطات الطيران فى بوتسوانا للطيران فوق الصحراء . وبالفعل عثرنا على الأنقاض عند هضبتين صخريتين ، تطلان على بحيرة جافة ، حولها الكثير من الأشجار الإفريقية العريضة الجذوع .

ولقد أقنعتنى تلك الرحلة الجوية ، بمحاولة الوصول إلى هذه المدينة المفقودة عن طريق البر ، واستكشاف معالمها وتصويرها . حيث أشارت الأساطير القديمة إلى أن الفينيقيين Phoenician ـ وهم اللبنانيون القدماء ـ هم الذين بنوها فى القرن الثالث الميلادى ، ثم دمرتها القبائل المحلية ، حينما ثاروا عليهم . ومن يومها لم يقترب منها أحد ، ولم يصل إليها أحد من المستكشفين ، ولذلك لم تظهر أخبارها إلا فى كتب الأساطير .

كان الأمر ينطوى على جانب كبير من الحماقة والتهور ، حينما انطلقت بسيارتى اللاند روفر Land Rover ، فى أوائل شهر أغسطس 1976 ، من مدينة بولاوايو Bulawayo فى جنوب غرب زمبابوى ، حيث عبرنا الحدود إلى بوتسوانا .

وانطلقنا نحو الغرب نحو مدينة ماون Maun وبعد رلحة قصيرة ليومين، انطلقت جنوبًا مع زوجتي نحو الصحراء الشاسعة، وقد تزودنا بما يكفينا من الأطعمة والمشروبات ومعدات الطوارئ.

كان علينا قطع حوالى 300 كيلومتر وسط الأراضى القاحلة والبحيرات والمستنقعات والأراضى الرخوة، التى لايمكن أن تتحمل ثقل سيارتنا. وفى البداية انطلقنا من حوض بحيرات ومستنقعات أوكافانجو Okavango ـ الذى تقع مدينة ماون على طرفه الشرقى ـ نحو بحيرة نجامى Ngami إلى الجنوب الغربى بمحاذاة بعض الهضاب المرتفعة. وفى اليوم الأول بلغنا مسافة لا بأس بها حتى البحيرة.

فى صباح اليوم التالى واصلنا السير، حتى بلغنا منطقة الأحراش الكثيفة، وحيث تنعدم جميع الطرق والدروب المطروقة. وينتهى كل أمل واحتمال لوصول أية سيارات خاصة برحلات الصيد... ثم اخترت شجرة بعيدة مميزة فى أفقنا المحدود، نحو الجنوب الشرقى لقلب صحراء كالاهارى، كى أوجه نحوها مقدمة سيارتى طبقًا لما

تشير إليه البوصلة والعلامات على الخريطة. وانطلقنا عبر تلك البقاع الموحشة، المليئة بالجمال الأخاذ، والأشجار الملتفة والزهور البرية، والطيور الملونة المختلفة.

كاد النهار أن ينتصف، حينما وصلنا إلى سهل فسيح، ترصعه بعض الأشجار المتناثرة على مدى البصر، وتغمره أعشاب السافانا Savanna الشاحبة الطويلة. وقد ارتفعت درجة الحرارة، برغم أننا فى بداية فصل الربيع ـ بالنسبة للدول الواقعة جنوب خط الاستواء ـ وبعد أن قطعنا حوالى ثمانية كيلومترات، أحسست بالدوار ينتابنى، وكان السهل يموج أمامى كصفحة المحيط.

توقفت بالسيارة، وأخذت أنظر بالمنظار المكبر Binocular، فأدركت أن بيننا وبين الأفق قطيعًا كبيرًا من الحُمر الوحشية Zebra. فإذا ضربت حوافر الآلاف من هذه الحيوانات سطح الأرض الجاف، تطاير الغبار كالمسحوق فى الجو، وترتبك الرؤية عن بعد. ولكن سرعان ما اقتربنا من سحب التراب المتطاير الخانق، وأصبحنا وسط الحيوانات التى كانت تركض فى كل اتجاه محاوله الهرب، بينما ارتفعت رءوسها الملونة، وآذانها إلى أعلى. وحينما

تجاوزنا القطيع ، توقف كلية عن الحركة ، وأخذت الحيوانات تراقبنا فى ذهول ونحن نجتاز الأرض أمامها .

فى عصر ذلك اليوم ، بلغنا الحوض الطبيعى الأول فى تلك البقاع المجهولة ، وكان عبارة عن بحيرة لزجة تغمرها الأملاح ، ولم تكن مثبته على الخريطة . ولم أكن أعرف ذلك ، حيث خطر لى أن أعبرهذه المنطقة بزيادة سرعة السيارة . فلما نزلت للاستكشاف أولا ، تبين لى من آثار بعض الغزلان أن الحوض ما هو إلا شرك طبيعى ، قد غطى سطحه بطبقة ملحية خادعة تبدو متماسكة عن قرب . فلما مشيت فوق حافتها ، تكسرت قشرتها الناعمة ، وظهر تحتها ماده صفراء اللون ، والتصق ذلك الطين الأصفر بحذائى كأنه صمغ لزج .

وكان علىَّ السير فوق الأعشاب التى تنمو بين أطراف هذه البحيرات اللزجة المتعددة . ولكن بعد أن اجتزنا حوالى عشرة كيلومترات انتهى بنا المطاف عند بحيرة كبيرة مستعرضه تحفها بعض الأعشاب البحرية . ولم يكن أمامنا سوى العودة إلى البداية ، لنحاول الانطلاق عبر طريق آخر . ومن خلال الضباب الحار ، اكتشفت

بالمنظار بعض الهضاب العالية ، تتناثر حولها شجيرات متفرقه . فاتجهت إليها بعيدًا عن تلك المستنقعات ، ثم درنا دورة واسعة حسب اتجاه البوصلة والخريطة ، إلى أن قاربت الشمس على المغيب . فتوجهت نحو مرتفع ، وأقمت خيمتنا عند جذع شجرة بالقرب من حفرة عريضة تمتلئ بالماء .

استيقظت فى أثناء الليل ، حينما وجدت زوجتى دانيالا تلملم كيس نومها قرب النيران التى أشعلناها ، فسألتها : « إلى أين أنت ذاهبة ؟! » فقالت بلهجة حانقة : « إلى اللاند روفر كى أنام ، هربًا من شخيرك ! » فاندهشت من كلماتها ، إذ إننى لا أصدر أية أصوات فى أثناء نومى ، حتى ولو كنت متعبًا .

ما كدت أتهيأ للنوم من جديد ، حتى سمعت زئيرًا ، قادمًا من مجموعة من الأسود فى السهل خلفنا ، على بعد كيلومترات قليلة من مكاننا . وكان زئيرها كهدير الطبول فى ظلمة الليل وسكونه . وعندما استيقظت من النوم مرة أخرى على زئير راعد ، كان أحد الأسود على بعد خطوات من رأسى . فقفزت من مكانى وأنا أتعثر فى

كيس نومى نحو السيارة . وكان من الخطأ أن نخيم بجانب مشرب للحيوانات فى الغابة ، وكانت أصواتها القريبة منا ، هى التى منعت زوجتى من النوم الهادئ ، وحسبتها صادرة منى .

عند الفجر ، استأنفنا رحلتنا ثانية ، تخللتها فترات راحة قليلة لتناول الطعام . وبعد أن قطعنا مسافة كافية ، شعرت بأننى غير متأكد بالضبط من موقعنا . ورمقتنى زوجتى بعينين متشككتين وقالت : « ألا ينبغى أن نكون قد وصلنا الآن إلى المكان ؟ » . ورحت أفحص البوصلة ، وأقلب فى الخرائط ثم وقفت على سطح السيارة ، ورحت أستطلع الأفق من حولى بالمنظار . ولاحظت وجود بضع تلال موزعة فى مساحه تبلغ 80 كيلومترًا مربعًا . ولم يكن فى استطاعتى التحقق من كل منها ، فلم يكن لدينا من الوقود والطعام والماء إلا ما يكفى لثلاثة أيام أخرى .

بعد راحة قصيرة تطلعت بالمنظار مرة أخرى ، فشاهدت عن بعد خيطًا ورديًا لامعًا يتلوى عند خط الأفق . ومرت لحظات ، حينما أدركت أنه سرب من طيور البشرُوش « الفلامنجو » Flamingo ، الوردية اللون ، ذات الأعناق والسيقان الطويلة . وتذكرت أننا شاهدنا من الطائرة ، سربًا من هذه الطيور المائية بالقرب من الأنقاض .



ينطلق دبلبور مع زوجته دنيالا نحو صحراء كالاهارى و عرش لساعات للبحث عن المدينة المفقودة .



كانت طيور الفلامنجو الوردية هى التى وجهت دبلبور إلى مكان القلعة القديمة ، وراء البحيرة



وعلى الفور التفت إلى زوجتى ، وأشرت إلى ربوتين داكنتين نحو الأفق الشمالى ، وقلت بثقة : « تلك هى المدينة المفقودة ! »

فى الكليومترات الخمسة الأخيرة ، شقت اللاند روفر طريقها عبر مجموعات من الأكمات الشوكية ، والأشجار الملتوية ، حتى لقد وجدت صعوبة فى إيجاد ممر بينها . وأخيرًا نفذنا إلى حافة حوض طبيعى ، عبارة عن بحيرة ملحية أخرى . وسرنا على الحافة بحذر ، فى اتجاه الهضبتين التوأمتين . ثم توقفنا عند سفح الهضبة الأقرب إلينا ، وقد سد الطريق بالصخور الضخمة ، وأخذت مع زوجتى نحدق فى طبيعة المكان ، فالأشجار الضخمة يبدو أنها قد زرعت بفعل فاعل فى دوائر منتظمة ، ذات مركز واحد على قمة الهضبة . كما أن هناك الكثير من الصخور الضخمة ، التى يتراوح وزنها بين 6 - 10 أطنان تنتظم فى نسق خاص فى كل مكان فى الموقع ، وكأنها مخصصة للحماية والدفاع . وكانت ظلال الشمس الغاربة قد حجبت الأسوار الحجرية التى رأيناها من الجو ، فقررنا المبيت فى مكاننا حتى الصباح .

عند الفجر ، وقفت مع زوجتى ، بالقرب من النيران فى مخيمنا ، نرقب الأسوار الحجرية الخارجية للمدينة المفقودة . وبعد الإفطار ، تسلقنا الهضبة ، حتى وصلنا إلى الأسوار الهائلة ، الذى انهدم جزء منها بفعل عوامل التعرية والزمن . وكانت الأجزاء السليمة منها تحتوى على بوابات ضخمة ، وكوى ومنافذ للدفاع وعتبات وشرفات خارجية مرصوفة بالأحجار المنحوتة . وأخذت فى تصوير الآثار بكاميرا خاصة ، للحصول على أول فيلم سينمائى وثائقى لهذه الآثار المجهولة . بينما كانت زوجتى تدون بعض الملاحظات ، وتلتقط بعض الصور « الفوتو » بكاميرا أخرى .

كان هناك الكثير من الأوانى الفخارية والفئوس والبلط الحديدية ، إضافة إلى بعض الحلى والخرز والزجاج والأوانى والمعدات وغيرها . وكانت هناك أيضًا بقايا أفران خاصة لصهر المعادن ، وبوتقات فخارية سميكة لاستخلاص المعادن ، وربما كان منها الذهب والفضة والبلاتين . كما عثرنا على الكثير من الحجرات والدهاليز والممرات الحجرية والساحات الواسعة غير المسقوفة بالداخل . وقمت برسم خريطة لهذه المدينة من الداخل

والخارج ، مع تصوير معظم هذه الآثار ، وتدوين الملاحظات التى يمكن أن أسترشد بها بعد ذلك . كما انتقيت بعض الآثار لأخذها معنا .

وجدنا على القمة داخل الأسوار الدفاعية ، بقايا برج حجرى كبير . ولم أكن أعرف ، إن كان يستخدم للدفاع ، أو للأغراض الفلكية ، أو للعبادة ؟! وأخذت أقلب بعض الأحجار المنهارة ، أملا فى الكشف عن بعض الآثار الذهبية . وانكشف لنا بالفعل عن شىء لامع بين الظلال داخل مجموعة من الصخور المبعثرة . فلما أزلت بعضها ، تموج هذا الشىء اللامع ، وانساب كالمعدن الأسود ، وراح يفك من حلقات استدارته على نفسه ، وأخرج رأسًا ضخمًا مكسوًا بالقشور . وأخذ يحدق إلينا مندهشًا بعينين سوداوين لاجفون لهما ، بينما انطلق لسانه المتموج يتذوق رائحتنا . إنه أفعى المامبا Mampa السوداء ، أسرع الأفاعى الإفريقية ، وأشدها فتكا ، حتى إن سمها يقتل خلال ثوان معدودة . حيث يُعرف عن أفعى المامبا السوداء والبنية ، ميلها للهجوم دون أى استفزاز .

تراجعت ببطء مع زوجتى إلى مسافة آمنة ، وأعددت بندقيتى للطوارئ . ولكن الأفعى انسلت من مكانها بعيدًا ، وقد بلغ طولها حوالى أربعة أمتار . وقضينا ليلتين

إضافيتين فى مخيمنا خارج الأسوار بجانب السيارة ، حتى يمكننا أن نستكمل تصوير الفيلم الوثائقى ، وتدوين الملاحظات التى تعنينى لتدوين كتاب جديد عن حقيقة هذه الأسطورة الحقيقية .

كان همى أن أعرف حقيقة هؤلاء الغرباء ، الذى قال بعضهم إنهم فينيقيون ، ولماذا أقاموا هذه القلعة الضخمة ؟ ولأى غرض ؟ وتقول إحدى أساطير قبائل الزولو Zolo فى الشمال ، والبوشمان Bushmen فى الجنوب ، أن أجدادهم هم الذين ثاروا على هؤلاء الدخلاء وقضوا عليهم .

قمنا فى صباح اليوم الأخير بجولة سريعة بين الأنقاض الحجرية ، وقد ملأ نفوسنا شعور بالرهبة والإجلال ، باستحضار معالم الماضى المندثر إلى عالمنا الغريب . وبدا لى أن تلك الأنقاض تحكى قصة طويلة قديمة من محاولة استعمار القارة الإفريقية واستنزاف ثرواتها كما يحدث الآن .

ثم بدأنا رحلة العودة من نفس الطريق الشاق ، ولكن بعد أن خبرناه .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Reader's Digest Magazine - An Article by Wilbur Smith, 1977

Pleasantville , N.y 10570 , U. S. A.

مأزق فى الأحراش الأوسترالية ..

[بقلم : راشيل بيرسى]

تلقى رود آنسيل Rod Ansel - 28 سنة - استدعاءً من إحدى الشركات الزراعية ، للإسهام فى مطاردة الثيران والجواميس البرية فى برارى شمال أستراليا ، والإمساك بها حية لتهجينها فى المزارع ، وذلك لمدة ثلاثة أشهر .
كان هناك طريق يربط بين مدينة كاترين Katherine القريبة من مزرعة والده حيث يسكن مع زوجته وابنهما الصغير وبين مدينة كونونورا Kununurra فى اتجاه الغرب ، حيث مقر الشركة الزراعية المتخصصة . وكلا المدينتين تقعان فى أقصى شمال الوسط الأوسترالى ، وهى أراضٍ برية تماماً ، تحفها الغابات والأنهار والمستنقعات والبرارى الاستوائية الحارة .

فى بداية شهر مايو 1977 ، انطلق رود بسيارته التويوتا ، وقد حمل سطح سيارته بزورقين صغيرين من الألومنيوم للقيام بنزهات للصيد ، والكثير من الأطعمة والمعلبات والمعدات المختلفة والملابس . وقد اصطحب

معه جروين صغيرين لتدريبهما فى الأحراش خلال رحلاته للمطاردة . وكان عليه قطع حوالى 160 كيلومترًا للوصول إلى كونوتورا ، حيث يقطع الطريق ثلاثة أنهار كبيرة تصب كلها فى خليج جوزيف بونابرت فى الشمال وفكر رود أنه فى إمكانه أن يتوقف عدة أيام غرب أحد هذه الأنهار للصيد ثم مواصلة الرحلة ، فالزمن لايعنى شيئاً لسكان هذه المناطق .

عثر رود على مكان مناسب قرب نهر فيكتوريا ، وأنزل الزورقين عبر منحدر على الضفة ، وأقام مخيمًا صغيرًا . ثم وضع الأطعمة والمعدات فى قاربه الكبير المزود بمحرك ، ويجر خلفه الزورق الصغير الذى يسير بمجدافين ، فى حالة توقف المحرك . واصطحب معه الجروين الصغيرين ، وباكستر Baxter الرمادى اللون ، وسيندى الأبيض Sendı ، ولم ينسى اصطحاب وعاءين كبيرين من البلاستيك مملوءين بالمياه العذبة . فمياه الخليج الذى تصب فيه الأنهار لا تصلح للشرب . ثم بدأ رحلته نحو المصب للصيد .

كان قد بلغ منتصف النهر عند العصر ، حيث بلغ عرض المياه حوالى ثلاثة كيلومترات . وكان اليوم جميلا ، حيث

استمتع رود بالهدوء الشامل الذى يخيم على الغابات والأحراش من حوله ، واصطاد بعض الأسماك ، وشاهد عددًا من التماسيح . وقبل أن تغيب الشمس ، أخذ رود فى العودة نحو مخيمه .

فجأة اصطدم القارب بشيء ما تحت الماء ، ثم أخذ يتأرجح بشدة وانقلب رأسًا على عقب . ولم يشاهد رود سوى المحرك ، والزورق الصغير المربوط به وقد غمرته المياه حتى نصفه . بينما قفز الكلبان يحاولان السباحة طلبًا للنجاة ، وسط الأمتعة الطافية . وتشبث رود بالزورق الصغير ، وأنقذ الجرو الرمادى ، بينما كانت الكلبة الصغيرة البيضاء سيندى تتخبط باضطراب . واضطر رود للسباحة حتى ينقذها ، حيث لاحظ وجود كسر فى إحدى قائمتيها الخلفيتين . وأنقذ بعض المعلبات والأمتعة الطافية ، مع علبة كبريت ابتلت عيدانها .

خيم الظلام بسرعة وازدادت سرعة الرياح . وحاول رود الوصول إلى إحدى ضفتى النهر ، بمجداف واحد ، بعد أن فقد الآخر . وأخذ فى نزح الماء من القارب بيد ، بينما يصارع باليد الأخرى لطمات الأمواج الشديدة لتثبيت القارب بمجدافه حتى لاينقلب . واستمر على تلك الوتيرة

طوال الليل ، حيث بلغ ارتفاع الأمواج ثلاثة أمتار ، وسقطت الأمطار بغزارة ، حيث كانت تدفعها الرياح العاتية بعنف كالسهام .

أخيرًا ، تبين لرود فى ضوء النهار أن التيارات البحرية ، وحركة المد والجزر قد أبعدته كثيرًا عن نقطة انطلاقه ، ولكن فى اتجاه المصب نحو المحيط الهندى ، وشاهد جزيرة طويلة منخفضة ، فجدف نحوها فى اتجاه التيار . وقفز باكستر الرمادى إلى الأرض ، وتبعته سيندى البيضاء وهى تقفز على ثلاثة قوائم ، وهى لاتكترث بالألم شأنها شأن كلاب الصيد .

جلس رود على الرمال الجافة ، وقد هده الإرهاق . ثم أخذ يفكر فى سبب الكارثة التى حلت به ، فقد يكون تمساحًا كبيرًا ، أو سمكة قرش ، أو حوتًا مذعورًا لدى بلوغه المياه الضحلة ، ولكنه لم يعرف أبدًا على وجه التحديد . كان من الواضح أنه ابتعد كثيرًا عن مخيمه وسيارته بحوالى 50 كيلومترًا نحو المصب . ولم يراوده أى وهم بإمكان حضور نجدة لإنقاذه ، فلا أحد يعرف مكانه .

فى أثناء جلوسه ، لاحظ على مقربة منه مصب نهر فيتز

موريس Fitz Moris وهذا النهر المجهول يمر عبر قفار لم تطأها قدم إنسان ، ولا أحد يسكن على ضفافه . ولكنه يقع قبل نهر فيكتوريا من جهة الشرق ، وأضيق منه ويمكنه إن أبحر فيه أن يصل إلى نقطة قريبة من مخيمه ، حيث إنه يقع بين النهرين . تناول رود بعض الطعام ، وغفا قليلاً منتظرًا ارتفاع المد .

وبعد الظهر بقليل بدأ رحلته ، وسط حرارة شديدة ، ورياح مشبعة بالأملاح . وجدف بأقصى جهده نحو الخليج الذى امتلأ بأشجار المانجروف Mangrove والتماسيح والأسماك الضخمة والطيور البحرية المحلقة . ثم شاهد فتحتين أو ثلاثًا أمامه ، ولم يدر أى من هذه الأخوار يؤدى إلى مصب النهر . وكانت الشمس على وشك المغيب ، فاتجه إلى شاطئ جزيرة صخرية صغيرة ، منتظرًا حركة المد فى الصباح .

عند الفجر حملته مياه المد بقوة إلى ما بدا مدخل النهر . وبعد عبور المصب بدا نهر فيتز موريس عميقًا وضيقًا ومحاطًا بالصخور العمودية من الجانبين ، ثم اتسع النهر حيث حمله التيار إلى المياه العذبة الصافية ، وبدأت التماسيح



تمكن « رود » من التجديف في الخليج العاصف ، حتى مدخل نهر فيتر

تسبح وراء القارب . فأخذ رود بندقيته وأطلقها على أقرب التماسيح ، ولكن الأخرى لم تتفرق .

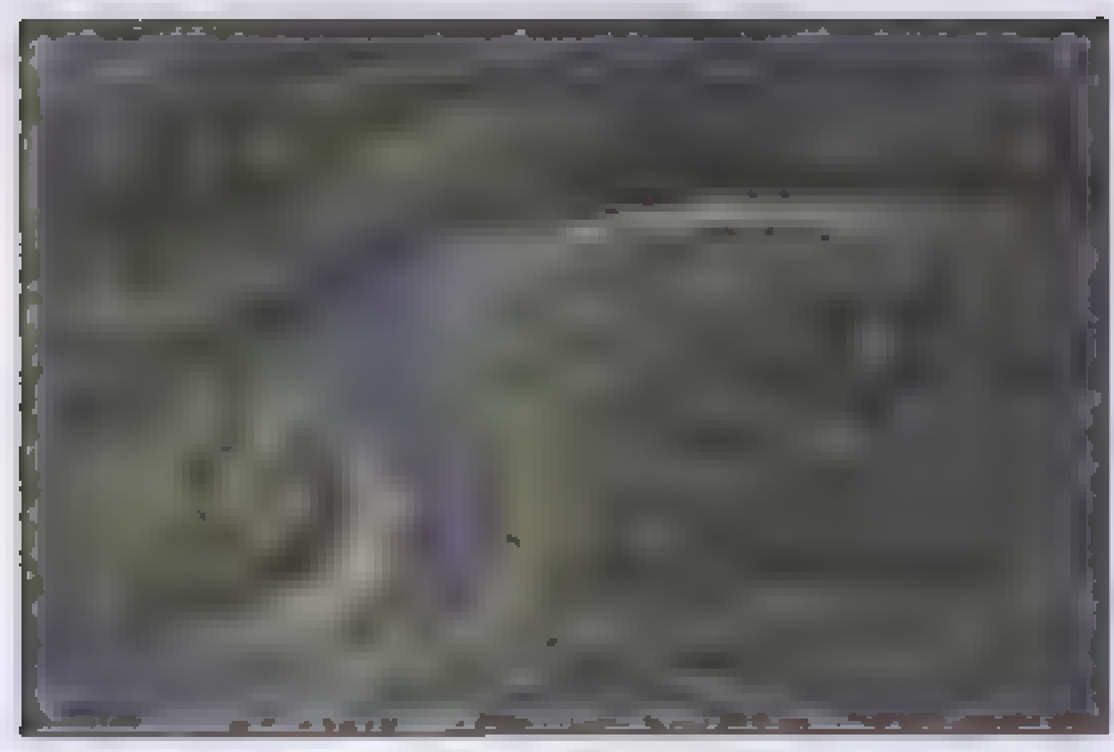
أخذ رود يجدف بعزم وهو يشعر بالرضا ، حتى لاحظ أن النهر قد ضاق من جديد ، وسمع صوتًا كالهدير يعلو كلما تقدم . كان أمامه ما يشبه الجدار المعتم ، تتدفق عليه المياه البيضاء . وكان عليه الانتظار حتى الصباح قبل التصدي لهذه المشكلة ، وجدف نحو الشاطئ الصخرى ، وربط القارب بجذع شجرة . ثم تمدد على جرف رملى وقد جف جلده من حرارة الشمس ، والجروان بجانبه .

بدأت حركة المد وسط الظلام الحالك ، وكان عليه الانتظار حتى الفجر لاكتشاف طبيعة الجدار الصخرى . وتبين له بعد ذلك أن المياه تتدفق بين كتلتين كبيرتين من الصخر الصلد ، لا تزيد المسافة بينهما على متر . فكان عليه الانتظار حتى تأتى موجة المد التالية ، حتى ترتفع المياه إلى أعلى وتتسع الفتحة . ولكنه بدلاً من ذلك استغل الدقائق القليلة بين المد والجزر حين هدأت حركة المياه السريعة ، ودفع بالقارب بين الفجوة لمسافة 95 مترًا . واستطاع اجتيازها بحذر .

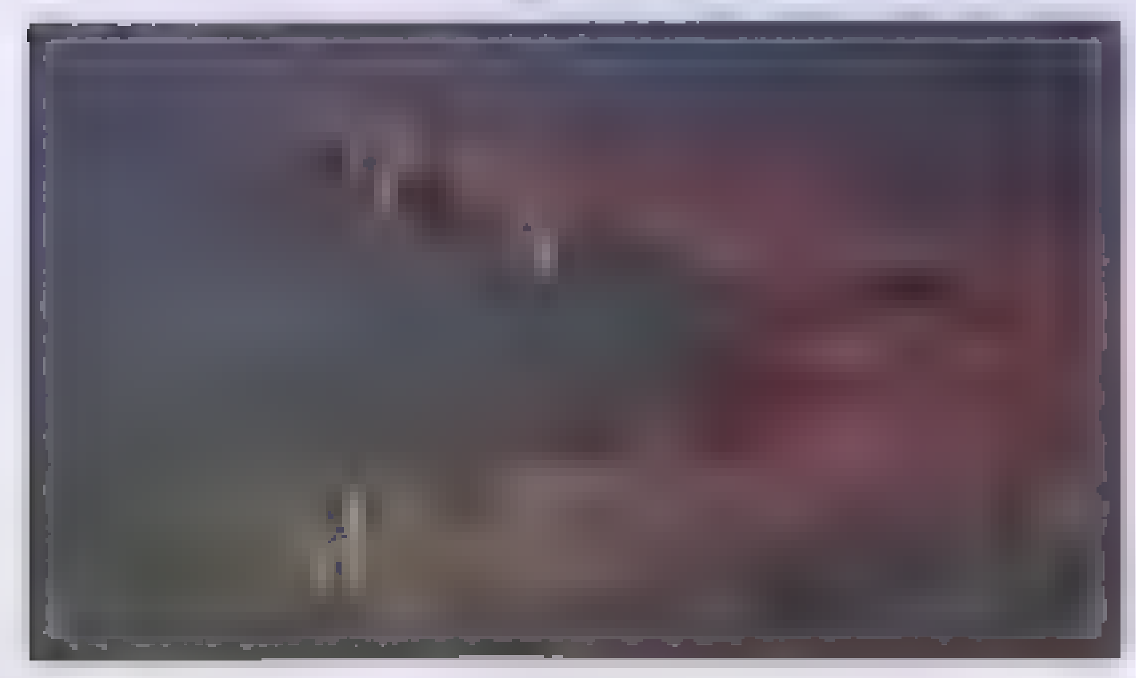
أخذ النهر بعدها يتشعب ويتسع ، كما أخذت الطيور تحلق فوق القارب الغريب ، بينما استمر رود فى التجديف بكل قوته للابتعاد عن الفتحة التى اجتازها وقبع الكلبان فى قاع الزورق وقد أغمضا أعينهما من غير تذمر . وانعطف القارب نحو الشاطئ ، حيث قفز باكستر أولا ، وحاولت سيندى اللحاق به ، وأخذا يعبان الماء بجنون . وعندما تبعها تبين له عذوبة الماء ، بخلاف الماء المالح وراء الفتحة .

وعاد إلى القارب مرة أخرى ، وأخذ يجدف ببطء بحثًا عن مكان صالح لإقامة معسكر له وللكلبين . ووقع نظره على ضفة مناسبة ، ترتفع وراءها أشجار كبيرة ، فأرسى القارب فى مكان آمن ، وسحب بعض معداته من القارب إلى شجرة لردار Ash ضخمة وعاد كى ينقل بعض أشيائه مع البندقية وذخيرتها . فشاهد الجروان يلعبان فى الماء ، وتمساح كبير يتهادى فى محاذاة الضفة ، فقتله فى الحال برصاصة . وأدرك أن عليه أن يراقب الكلبين طوال الوقت ، ومنعهما من الذهاب وحدهما إلى النهر .

كان كيس النوم مبللا ، فنام رود تحت جذع الشجرة وبجانبه الجروان حتى الصباح . وأفاق وهو لا يستطيع الحراك من الجهد الذى بذله طوال الأيام الثلاثة الماضية ،



[illegible] رود فى بحثه عن نهر [illegible] حتى عثر على مكان مناسب لخيمه



كانت التماسيح تراقب رود والكلبين حين توقف على شاطئ النهر ، للانقضاض عليهم

ولاحظ فى طريقه إلى النهر آثار قطعان من الحيوانـات ، فاطمأن إلى وفرة الطعام فى المنطقة . وبعد أن تناول شيئاً من السكر والحلوى ، أخذ يتفحص جرح سيندى ، فأزال الجلد الجاف بسكين ، ونظف الجرح الذى لم يلتهب بسبب الماء المالح ، وأعاد العظمة المكسورة إلى مكانها . ثم انتزع قطعة من قميص شدّ بها العظمة ، ولف حولها سلك معدنى وجده فى قاع القارب . وتقبلت سيندى كل ذلك بصبر رائع دون تذمر .

شاهد رود عند الظهر ، بقرة برية كبيرة تجرى نحو النهر ، على بعد 45 مترًا منه . وحينما اقتربت منه أطلق عليها الرصاص ، ثم نحرها بخنجره . وسلخ بعضًا من جلدها ، وهرع الكلبان حيث أكلا بشراهة . ثم أخذ يقطع شرائح من اللحم ، يعلقها فى مخيمه بأغصان الشجرة ، كى تجف من حرارة الشمس .

كان عليه أن يشعل نارًا لإعداد طعامه ، ولرد التماسيح المغيرة ، ولالتماس الدفء فى الليالى الباردة ، أو حتى لإعطاء إشارة لأى طائرة صغيرة يتصادف مرورها . ووجد أن عيدان الثقاب تالفة . ولم يكن يعرف الطريقة التى يستخدمها المواطنون الأستراليون الأصليون . فقرر

استخدام طلقة بندقية ، بعد فصل المقذوف . وهى ليست بالطريقة الآمنة ، ولكن لم يكن هناك من بديل . وأفرغ البارود فوق بعض الأعشاب والأوراق الجافة . وأخذ يطرق كبسولة المفجر برأس السكين بحذر بعيدًا عن عينه ، حتى انفجرت بفرقعة كبيرة ، ولكن البارود كان قد اشتعل ، وأخذ يذكى النيران حتى لاتنطفئ . وطوال الأيام التالية لم يفعل شيئا سوى الأكل والنوم حتى يستعيد قوته .

وصنع من جلد البقرة حبلاً ربط به الكلبين حتى لايذهبا إلى النهر ويتعرضا للتماسيح . كما أخذ يضع علامة على جذع الشجرة لكل يوم يمر به منذ بدء محنته حتى لاينسى .

وفى نهاية اليوم الثالث كان اللحم قد نفد ، وما بقى منه أجهزت عليه الصقور والغربان الموجودة بكثرة فى البقاع الشمالية لأوستراليا . ولذلك خرج رود للصيد ، بعد أن ترك الكلبين فى وثاقهما ، بالقرب من نار كبيرة لمنع الحيوانات البرية والتماسيح المعتدية . وشاهد أمامه هضابًا صغيرة تنتثر فيها الأشجار والحشائش . وأفضى به السير إلى تجمع لمياه الأمطار ، وهو مكان مثالى للحيوانات البرية . فتسلل رود بين الأشجار ، وصرع واحدًا من الجواميس القليلة التى شاهدها هناك . واستغرق نقل اللحم إلى المخيم عدة رحلات .

وبعد أيام اصطاد بقرة صغيرة ، وسلخ جلدها بعناية لاستخدامه ضمن متاعه القليل ، وصنع حبلاً من الجلد لبندقيته كي يعلقها على كتفه عند الخوض في تلك البراري . وكان لديه حوالي 27 طلقة ، فأخذ يقتصد في استخدامها إلا عند الضرورة وأمكنه صنع حبل مجدول من الجلد ، من ثلاثة حبال رفيعة . وأخذ يستكشف طبيعة الأرض من حوله في كل الاتجاهات ، وأدرك أنه يمكنه الصمود طويلا ، حتى ولو نفدت ذخيرته ، فيمكنه الصيد بالفخاخ وغيرها . وأخذ يفكر في العودة .

كانت مشكلته الكبرى أنه يجهل منابع الماء في تلك البقاع ، فإذا كان عليه السير فلابد أن يحمل الماء الكافي له وللكلبين . كما أن قائمة سيندى لن تبرأ قبل أسابيع ، ومن المستحيل أن يتركها ويمضي . ولذلك فكر في أنه لابد من أن ينتظر فصل الأمطار حتى ينطلق ، فلايخيفه الجفاف . ولكن ذلك لن يحدث قبل شهر أكتوبر ـ أي بعد خمسة أشهر .

لم تخفه الأفاعي في مخيمه على ضفاف نهر غيتز موريس ، إذ إنها عادة ما تكون كسولة في موسم الصيف الجاف . وشاهد مرة أفعى بنية سامة ، فقتلها بعصا ، خوفاً على الكلبين اللذين لايعرفان أخطار الأفاعي . كما كان المكان يعج بالنمل الأسود الكبير آكل اللحوم ،

وكذلك بالعقارب ، ولكن لدغاتها لاتفتك إلا بالأجسام الضعيفة ، ولاتؤذي كثيراً .

أقام رود لنفسه سريراً بين أغصان الأشجار ، حيث وضع قضباناً بينها وربطها بالحبال الجلدية ، وفرشها بالأعشاب الجافة ، ثم كيس نومه . كما صنع مجدافاً آخر لقاربه ، حتى يتمكن من استكشاف الجانب الآخر للنهر . كما كان يصطحب الجروين إلى النهر كل يوم للعب على الشاطئ في حراسة بندقيته التي لاتفارقه . وحرص على الذهاب إلى النهر في أوقات مختلفة كل يوم ، حتى لايعود التماسيح ـ التي تراقبه دائما ـ على أوقات معينة ، فتنقض عليه .

وأخذ رود ينوّع في طعامه بصيد الأسماك الوفيرة في النهر ، وكذلك في عثوره على بعض البطاطا البرية والثمار الأخرى . وأخذ رود أيضاً يعلم الجروين اصطياد الحيوانات الجرابية الصغيرة كالولب Wallabies ، واليربوع Jerboa ، والأرانب البرية وغيرها .

بعد مضي أسبوعين في ذلك المكان ، استعاد رود نشاطه وحيويته ، كما بدأ العظم يلتحم في قائمة سيندى المكسورة . ثم أخذ يستكشف النهر لمسافات طويلة مصطحباً الكلبين معه . وتسلق هضبة حمراء عالية ،

كشف من قمتها دائرة نصف قطرها 30 كيلومترًا فى جميع الاتجاهات . وتبين له أن المكان الذى أقام به بمثابة جنة تحوطها من كل الجهات أرض وعرة .

كما لاحظ رود ذات مرة وجود قطعان من كلاب الدنجو البرية Dingo على الضفة الأخرى من النهر ، ولاتجرؤ على عبوره نحوهم . ثم تتعقب فريسةً من الماشية فى جماعات حتى تقضى عليها . ولكن نقص الملح والسكر سبب تشنجات لدى رود ، وحدّ كثيرًا من نشاطه . ولذلك عمد إلى صيد سمكة قرش عندما دنت قرب الشاطئ بالبندقية ، على اعتبار أن مثل هذه الأسماك تعيش دائمًا فى المياه المالحة ، ولا بد أن لحمها يعد مصدرًا للملح .

ومرت الأيام على هذا النحو ، لم يكن رود خلالها يستسلم لليأس . بل كان يتقبل الواقع ، ويحاول تحقيق ما هو فى نطاق قدرته من الطبيعة مباشـرة ، دون الاعتماد على أحد وهى علاقة صادقة بينه وبين نفسه .

وخطر له يومًا أنه يستمع إلى أجراس جياد ، فى أثناء شحذه لخنجره ، ولكن أصوات البرارى شبيهة بذلك الرنين . فلما سمعها مرة أخرى ، أسرع إلى حافة النهر ، وتبين له أنها آتيه من الضفة الأخرى . فقفز إلى قاربه

بسرعة واتجه نحو مصدر الصوت وسط الأعشاب والأحراش الطويلة . وشاهد قبعة سوداء ، فأطلق نداءً حادًا ، وجاءه الرد . وإذا به أمام رجل يمتطى جوادًا وتبادلا الحديث .

كان لوك ماكول Locke Mccall ـ الرجل الأبيض ـ ومعه ثلاثة رجال محليين من قبيلة بالومبا التى تعيش على بعد 225 كيلو مترًا إلى الشمال الغربى فى بورت كيتس ، وكانوا فى رحلة للصيد . وعاد رود إلى مخيمه واصطحب بعض أمتعته والجروين . وفى الضفة الأخرى كان لوك وصحبه قد أقاموا مخيمًا وأضرموا النار .

مضت القافلة على ظهور الجياد ستة أيام عبر البرارى الوعرة وحرارة الشمس ، ولكن رجال القبائل يعرفون منابع الماء فيها ، حتى وصلوا إلى قرية بالومبا ثم هبطت طائرة بعد يومين لنقل رود إلى مدينة كونورا ، وهكذا انتهت محنته التى لم يعلم بها أحد ، بعد 41 يومًا فى البرارى .

بتصرف مختصر عن كتاب :

To [illegible] The W[illegible] by Rache[illegible]perez , [illegible] Press , 1980 , Sydney Australia .

صراع الحياة فى جبال آلاسكا..

[بقلم : جوزيف بلانك]

توجه روجر لويس Roger Lewis ـ 31 سنة ـ إلى آلاسكا Alaska فى أقصى الشمال الأمريكى ، فى مايو 1979 ، مصطحبًا خطيبته دينيس هاريس Denise Harris ـ 20 سنة ، للبحث عن فرص أفضل للعمل والكسب والحياة . وأقام الاثنان فى منزل صغير فى مدينة سيوارد ، التى تقع على الضفة الشمالية لخليج آلاسكا .

كان صاحب المنزل قد حصل على تصريح بالبحث عن الذهب فى منجم مهجور على بعد 95 كيلومترًا بطريق الجو عن سيوارد . ومع ارتفاع أسعار الذهب ، فقد بدا له أن من الأفضل تنشيط العمل فى المنجم . وسألهما يومًا إن كانا على استعداد للذهاب إلى هناك لإعادة فتح الطريق إلى المنجم ، وجمع عينات لتقييمها إلى السلطات المختصة . وعرض عليهما نسبة خمسة فى المائة من الأرباح الصافية فى حالة نجاح المهمة ، فقبلا العرض دون تردد .

فى صباح يوم 31 أكتوبر ، انطلق روجر ودينيس فى شاحنة ضخمة ، تجر مقطورة تستخدم كسكن متنقل . وكان هناك الكثير من المعدات والأدوات لاقتلاع الصخور وجرف التراب وغيرها ، كما اصطحبا رجلاً متخصصًا فى نسف الصخور بالديناميت ، وكلبة فرضت نفسها عليهما أطلقا عليها اسم نوكا Nuka . وأكد لهما صاحب المنزل أنه سوف يحضر إلى المنطقة بطائرته بعد أسابيع قليلة ، ليرى ما فعلاه ، ويحضر إليهما المزيد من الإمدادات المطلوبة والأطعمة المحفوظة .

عثر روجر ودينيس على كوخ خشبى مهجور على الشاطئ ، فتركا عربة المقطورة على بعد ستة كيلومترات ونصف الكيلومتر لاستعمالات الرجل المرافق . ثم جعل روجر يتوجه كل يوم إلى موقع المنجم فى قارب صغير مصنوع من الأغصان المشدودة والجلود ، يعرفه هنود الإسكيمو باسم كاياك kayak بينما تظل دينيس فى الكوخ ، لإعداد الطعام والخبز .

استمر العمل بهذا الشكل حتى منتصف شهر نوفمبر ، حينما بدأ الشتاء يخيم على المنطقة بعواصفه الجليدية

ورياحه العاتية ، دون أن تظهر طائرة صاحب المنجم . ولم يكن هناك من وسيلة للاتصال بالرجل الذى ينسف الصخور عند الشاطئ ، سوى الوصول إليه عبر البحيرة الضحلة بقارب الكياك ، حيث يقيمون عند الطرف البعيد من الشاطئ . ولكن جاء اليوم الذى تجمدت فيه البحيرة تمامًا ، واختفت معالم الطرق عبر الشعاب الجبلية ولم يكن السير ممكنا عبر خط الساحل ، إذ إن الجبال تنحدر عمودية إلى البحر مباشرة ، وتتخللها أحيانا بعض الشواطئ الضيقة .

بدأ القلق ينتاب روجر ودينيس ، حيث انقضت سبعة أسابيع منذ وصولهما ، وقد أوشكت المواد التموينية على النفاد . ولا يمكنهما الصمود فى المنطقة طوال الشتاء ، بدون إمدادات خارجية . ولما لم يكن هناك أى تليفون أو جهاز لاسلكى لطلب النجدة ، فقد كان موقفهما سيئا . وكان يزداد سوءًا مع الأيام ، حينما لاحظ روجر هجرة قطعان وعول الشمال Moose وغيرها من الحيوانات والطيور نحو الجنوب . وازدادت سرعة الرياح الباردة . والعواصف الثلجية التى سرعان ما انقلبت إلى عواصف جليدية باردة جدًا إلى حد التجمد . ثم انتاب روجر الذعر ، عندما شاهد



أصيب روجر بالذعر حينما شاهد الأشجار والأعشاب من حوله ، وقد تجمدت .

فقرر الرحيل عن المنجم

كل الأشجار والنباتات والجبال والصخور من حوله وقد تجمدت تمامًا ، وغطتها طبقة زرقاء من الجليد . وهو مشهد لم يره من قبل ، ولم يتخيله على الإطلاق .

كان إلى الجنوب منهما خليج مفتوح ، ظن روجر أن فى إمكانه التجديف عبره إن لم يكن قد تجمد بعد ، حتى يصل إلى معسكر رجال جمع الأخشاب فى بورت لوك Portlock ، على بعد 96 كيلومترًا من موقعهم ، وهناك يمكنه العثور على بعض زوارق الصيد السريعة التى تمدهم ببعض العون . وشاء روجر أن يذهب وحده فى تلك الرحلة الخطرة ، ولكن دينيس أخذت تبكى وقد خشيت البقاء بمفردها فى ذلك المكان ، فاصطحبها روجر معه وترك رسالة قصيرة لرفيقه رجل الديناميت ، وأخذ معه الكلبة نوكا ، وبعض المعدات ، وكل الأطعمة التى تبقت لهما .

انطلق الزورق الجلدى الصغير كاياك Kayak فى الخليج الصاخب بين أمواج عاتية . وشعرت دينيس بالهلع ، حينما شاهدت أن الجزء الطافى من حافة الزورق لا تزيد على 7.6 سنتيمتر ، مما قد يعرضه للانقلاب . وقبيل حلول الظلام ، نزلا عند الشاطئ ، وأقاما مخيمًا صغيرًا وأعدا عشاءً ساخنًا .

بعد انقضاء اليوم الخامس ، هبت عاصفة عاتية ، فلجأ روجر بقاربه عند أرض جبلية ممتده داخل الخليج ، تعرف باسم جور بوينث Gore Point ، وكانا قد قطعا حوالى 48 كيلومترًا فى مياه الخليج الفاترة نحو هدفهم . وأقاما خيمتهما فوق جرف يعلو حوالى 30 مترًا فوق سطح الماء ، وأخذا ينتظران هدوء العاصفة الممطرة .

فى الساعة الثانية والنصف كانت موجات المد تزحف نحوهما ، وأصبحت المياه على بعد مترين ونصف المتر فقط . فرفعا الخيمة والمعدات إلى صخرة ترتفع مترًا آخر ، ولكن الأمواج والمياه استمرت فى الارتفاع والاقتراب منهما ، مما حملهما على الصعود إلى نقطة أعلى ، عبارة عن كهف طبيعى صغير بين الصخور . ولكن موجة عاتية أغرقت المكان والكهف كله . فسبح روجر ليجمع معداته الطافية ، وتبعته دينيس ومعها نوكا إلى مكان أعلى من ذلك فوق الصخور وغلفا الأطعمة والمعدات بالبلاستيك لحمايتها من مياه الأمطار .

توقفت العاصفة فى صباح اليوم التالى ، بعد أن حملت الأمواج معظم معداتهما وزورقهما . ونشرا ثيابهما المبللة

فوق حبل ربطاه ، وقضيا اليوم كله داخل الخيمة للراحة والدفء . وفى اليوم التالى ظهر ذئب قطبى فقتله روجر برصاصة ، وأعداه للشواء على سخان الغاز ، كطعام ضرورى لهما وللكلبة نوكا .

فى اليوم التالى ، أخذ روجر يفكر فى المحنة التى يمران بها ، حيث لم يريا أى زوارق للصيد فى المنطقة ، كما لم تمر طائرة واحدة . ولم يبق أمامهما سوى تسلق القمة العالية والسير عبر الثلوج . وفى أثناء الصعود ، تعثرت دينيس ، وأفلتت الحقيبة التى كانت تحملها على ظهرها ، وسقطت فى البحر ، ومعها الخيمة البلاستيك والسخان وما بقى من طعام . وهكذا لم يبق لديهما سوى غطاء صوفى ، وفراش رقيق وبندقية وثلاث طلقات ، ومنشار وبوصلة .

وصلا بعد الظهر إلى قمة جبل جور بيك Gore Peak ، وأخذا يستكشفان الطرق المحيطة بهما . ومد روجر يده إلى صخرة ناتئة ، فهوت به إلى حافة ضيقة ، حيث أخذ يتدحرج فوق جرف ثلجى منحدر لمسافة 152 مترًا وثبّت قدميه على الأرض ، مما أوقفه على بعد عشرة أمتار من حافة الهلاك . وأخذ يصعد نحو دينيس ، وقد أصيب بالعديد من الخدوش والرضوض ، ولكنها لم تكن خطيرة .

قرب المساء ، جرف روجر بعض الجليد عن جذع شجرة صنوبر Pine Tree ، وقطع بعض الأغصان ، غطاها بالفراش الرقيق وناما من فورهما ، وهما يعانيان من الرطوبة والبرد والجوع . وأخذا فى صباح اليوم التالى يجران أقدامهما من شجرة إلى أخرى .

فى اليوم العشر ، تبين لهما أن الطريق الذى يمتد شرقًا على امتداد الشاطئ ، يعترضه شلال متجمد ارتفاعه 45 مترًا . ولم يكن لهما خيار سوى تسلق ذلك الحاجز . وحفر روجر بعض الثقوب بمدية الصيد ، لتثبيت الأيدى والأقدام . وأخذ يتسلق حائط الجليد بحذر ، ودينيس تتبعه . ثم تمسك ببعض الصخور المغطاة بالجليد صاعدًا فى اتجاه شجرتين صغيرتين إلى اليمين وسقطت دينيس مرتين فوق الجليد وقد أصابها الدوار . ولكن روجر رفض النزول مرة أخرى لمساعدتها ، وصرخ فيها أن تحاول من جديد بكل طاقتها ، وإلا فإنهما سوف يموتان كل على حدة . ولابد أن تكافح بما فيه الكفاية من أجل حياتها .

فى صباح اليوم التاسع عشر منذ مغادرتهما الكوخ ، الموافق التاسع من يناير 1980 ، استمرا فى سيرهما يبحثان عن أى أسراب البط البرى أو غزال شارد لاصطياده . وعند الثانية عصر ذلك اليوم شاهدا طائرة هليكوبتر برتقالية

اللون تابعة لحرس السواحل الأمريكية Coast Guard ، فأخذا يلوحان لها بجنون .

وكان صاحب المنجم قد كلف طيارًا للبحث عنهما بطائرته البرمائية Amphibian ، حيث حلق عدة مرات فوق الشاطئ قرب المنجم دون جدوى . ولكن الرجل المكلف بنسف الصخور أبلغ رجال حرس السواحل عند عودته . وقرر الطيار الاشتراك مرة أخرى فى عمليات البحث ، فلما حلق فوق جور بوينت ، كان روجر قد أشعل بعض النيران ثم عادت الطائرة الهليكوبتر مرة أخرى بعد ساعة ، وأنزلت سلة انتشلت روجر ودينيس ونوكا . وفى تلك الليلة أخذت الأحوال الجوية تسوء مرة أخرى ، وهبت عواصف جليدية عارمة . منعت الطيران المنخفض لأسبوعين متتاليين . قرر الأطباء استمرار روجر فى المستشفى مع دينيس للعلاج أكثر من ستة أسابيع ، حيث كان كل منهما يحتاج إلى جراحات مختلفة لعلاج قرصات الصقيع Frostbite التى أصابت يديهما وأقدامهما ، فضلاً عن سوء التغذية .

بتصرف مختصر عن المصدر :

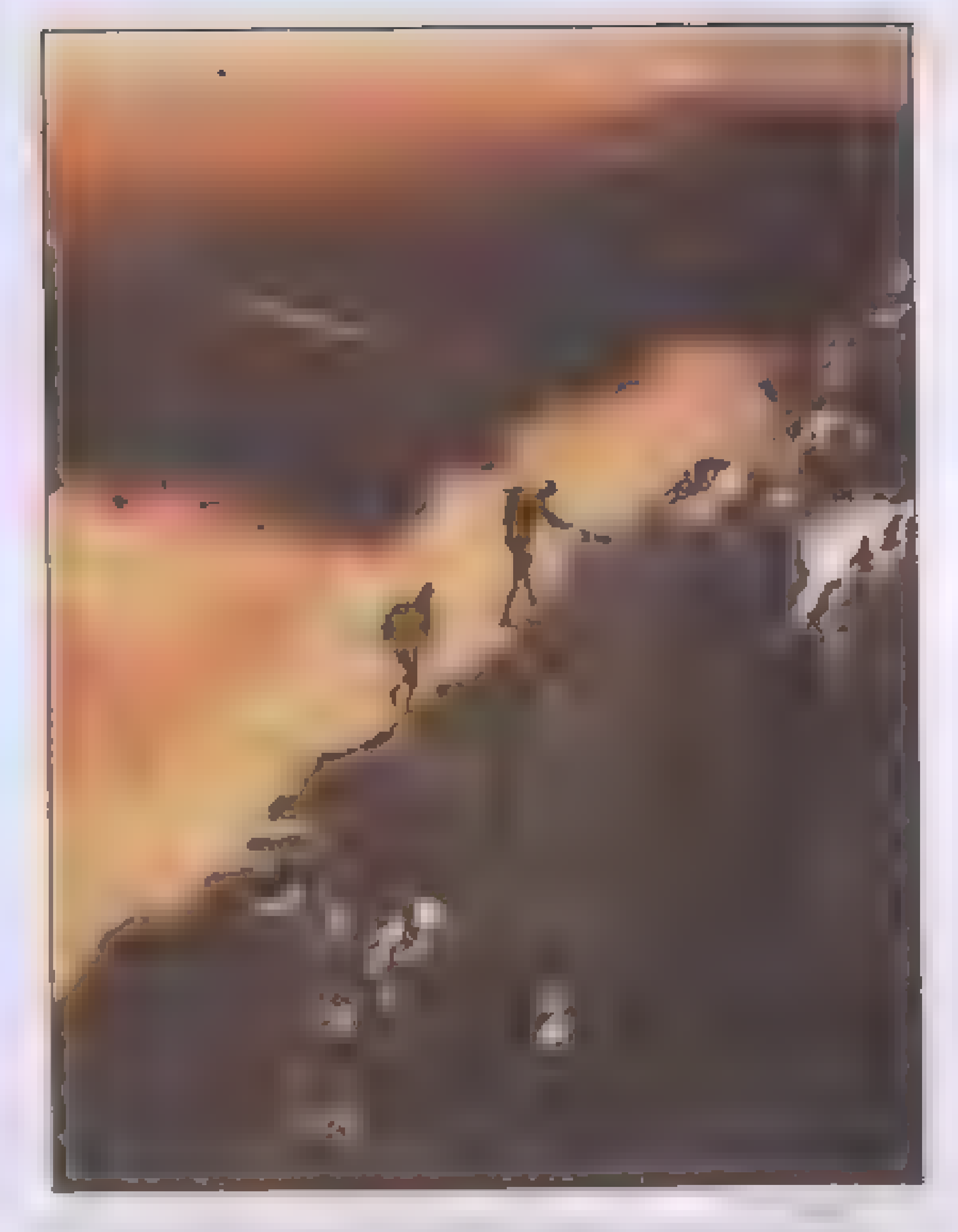
Audubon Magazine , by joseph Blank , dated Aug . 1980 .
950 Third Avenue , New York , N y. 10022, U.S A.

محنة فى غابات جبال إندونيسيا ..

[بقلم : نيل روبرتس]

التحق الفيزيائى بول أندروز Paul Andrews ـ 25 سنة ومدرس الجغرافيا إدوارد هايت Edward Hite ـ 23 سنة بمشروع رالى Rally البريطانى حول العالم ، لتدريب المواطنين المحليين على استخدام المعدات الحديثة ، وتعليمهم بعض المهن . بالإضافة إلى إجراء الأبحاث والدراسات العلمية ، التى قد يكلفون بها من قبل الجامعات والهيئات العلمية البريطانية . وقد وصلا إلى جزيرة سيرام Seram فى فرع المشروع فى إندونيسيا ، وذلك فى مقاطعة سولاويزى Sulawesi جنوب شرق إندونيسيا .

اتفق الاثنان على صعود جبل بينيجا Benga ، الذى يطل على خليج تومينى Tomini ، لإلقاء نظرة شاملة على المنطقة من قمته التى تبلغ 3300 متر ، والتقاط بعض الصور . وفى صباح 15 أغسطس 1987 ، بدأ الاثنان يصعدان الجبل المهيب ، والتقطا بعض الصور للجزيرة الكبيرة ، وعند عودتهما ضلا الطريق وسط الضباب الكثيف ، فقررا الصعود مرة أخرى إلى أعلى حيث السماء الصافية .



تسلق الصديقان الجبل الشامخ فى الصباح الباكر . لاستكشاف الصخور المحيطة
من حولهما

بعد استراحة قصيرة ، أخذا يستكشفان طريقهما على الخريطة ، ثم اتجها إلى جانب آخر ، وأخذا يتنقلان بين الأشجار الاستوائية والأكمات الملتفة وسط الغابات الخانقة التى تغطى الجبل . ولكن الضباب الذى حجب الأودية والشقوق الصخرية ، منع عنهما رؤية ما ينتظرهما من أخطار .

تتبعا نزولاً مجرى نهر جاف ، فوصلا إلى أخدود ينحدر شيئًا فشيئًا ، حتى بلغا جرفًا عموديًا . وحينئذ فطنا إلى الخطر الذى لاح لهما ، فعادا يتسلقان الأحجار الكلسية الغادرة . وحرصا على فحص كل خطوة وهما يصعدان المرتفع المائل بشدة ، ومع كل حركة كانت الأحجار تتفتت وتسقط إلى غابة الأمطار فى أسفل . وفجأة صرخ بول : « إننى أكاد أسقط ! » وانهار حجر تحت قدميه ، ثم بدأ يتدحرج على الجبل ، بينما كان إدوارد يراقبه فى جزع ورعب . وسقط رفيقه فوق نتوء صخرى يبعد حوالى 130 مترًا أسفله . وأخذ إدوارد ينظر إلى الجسد الهامد ، ويصرخ باسمه مرارًا ، ولكن لم يكن هناك رد ، وقد صار واضحًا له أن بول لن يبقى حيًا بعد انحداره المفزع .

أدرك إدوارد أن الطريقة الوحيدة لمساعدة بول ، هى متابعة التسلق إلى أعلى ثانية . وبعد استراحة قصيرة ، يستجمع فيها قواه بعد هذه الصدمة ، انطلق مرة أخرى وقد أخذ يبتهل إلى الله أن يساعده . وفجأة تفتتت الصخور من تحته ، وتدحرج هو أيضًا على الجبل . وعندما أفاق من إغمائه اكتشف أن هناك جروحًا عميقة فى رأسه وجبهته ، وقد ضرجت ملابسه بالدماء . وعرف أنه قد مضى عليه وقت طويل من تجمد دمائه ، بعد تحطم ساعته .

حاول أن يقف ، ولكن الألم المبرح فى أنحاء جسمه أقعده ثانية . ومن خلال الرذاذ المتساقط ، استطاع أن يرى جسد بول منكفئًا على النتوء الصخرى ، الذى بات يعلوه بحوالى 30 مترًا . وأخذ إدوارد يصرخ بأعلى صوته ، ولكن لم يأته جواب . وكان من المستحيل محاولة التسلق مرة أخرى . فاتجه همه إلى المحافظة على هدوئه ودرجة حرارته . كانت حقيبته ما زالت على ظهره ، ولكن معظم محتوياتها قد تناثر . فأخذ يجمع من حواليه زحفًا بعضًا منها . وهكذا أصبح لديه بعض الثياب وكيس النوم ، وكيس للطوارئ برتقالى اللون ، وعلبة إسعاف أولية ، وبعض الجوز والزبيب فى لفافة .

مشى متعثرًا نحو مجموعة من الأشجار ، واكتشف أن رسغيه مكسوران ، ولكنه استطاع سحب بعض الملابس النظيفة لاستخدامها ، وصنع مصيدة لماء المطر بشق كيس كبير من النايلون إلى علبة الإسعاف تحتها . ولما كان يعانى ارتجاجًا خفيفًا فى الدماغ ، فقد استغرق فى نوم عميق . وعندما استيقظ كانت السماء صافية ، وشرب الماء المتجمع فى علبة البلاستيك . وعرف أنه لن يستطيع الوصول إلى بول ، ومن الأفضل له أن يتجه إلى حافة الأشجار ، لعل رجال الإنقاذ يشاهدونه من الجو .

أخذ يتابع السير فى ألم شديد ، وبعد أن قطع حوالى 300 متر بعد فترة طويلة ، أقعده الألم عن متابعة السير ، فربط مصيدة المطر وراح فى نوم عميق . وعندما أفاق كان فى شبه غيبوبة ، فشرب الماء وتابع السير مسافة أخرى ، حتى وصل إلى حدود الأشجار . واختار حافة صخرية بطول مترين ، وأعد فراشًا له من الأغصان الرقيقة ، ونصب مصيدة المطر وجفف ثيابه فى الشمس حتى أقبل الظلام . فارتدى ملابسه ونام فى كيس نومه ، وهو يفكر فى فرق الإنقاذ .

فى الصباح كانت علبة البلاستيك فارغة ، فأكل بعض الزبيب . وأخذ بين الحين والحين يصرخ بأعلى صوتـه ، لعل أحدا يسمعه . وبينما كانت أشعة الشمس تضرب أعلى الجبل ، كانت السحب البيضاء الكثيفة تغطى الوادى أسفله . وأدرك إدوارد أن طائرات الهليكوبتر لن تحلق فى أثناء العواصف . وعندما هبط الظلام قال لنفسه : إنه أخطأ بتوقع إنقاذه فى اليوم الأول . وأمل أن يحدث ذلك فى اليوم التالى .

فى يوم الثلاثاء 18 أغسطس ، كانت قد مرت أربعة أيام على الحادث ، وبدأت فرق الإنقاذ المختلفة فى البحث عن المفقودين . ولكن التضاريس الأرضية التى كان عليهم أن يبحثوا فيها صعبة للغاية ، فهناك الكثير من الأشجار والأدغال الكثيفة والحافات الكلسية ، والمنحدرات الجبلية الغادرة ، بالإضافة إلى الأمطار والضباب والحشرات وغيرها .

وصلت فرقتان كل منهما من ستة أفراد إلى المخيم رقم 2 على ارتفاع 1600 متر . وأكملت فرقة ثالثة للإنقاذ الصعود إلى المخيم رقم 3 على ارتفاع 2600 متر .



أخذت فرق الإنقاذ تبحث بين الأخاديد والأشجار والأحراش عن المفقودين على ظهر الجبل

فى صباح الأربعاء ، وجد إدوارد علبة البلاستيك فارغة من المياه لليوم الثالث على التوالى . وتضخم رسغه الأيسر إلى ثلاثة أضعاف حجمه الطبيعى ، وكان يعانى من صعوبة فى التنفس ، لما أصاب رئتيه من التهاب . وأخذ يفكر فى خطيبته جينا Gina فى نيويورك ، وشقيقتيه الصغيرتين ووالديه . وقد تملكه إحساس أنه قارب النهاية .

فى فجر الخميس كانت علبة البلاستيك فارغة أيضا ، وتملكه اليأس والغضب معًا ، وظل يتطلع إلى السماء بحثًا عن طائرة هليكوبتر . ولكنه شكر الله على أن ظل حيًا حتى بعد سقوطه . ومن المؤكد أنه فى أيد أمينة ، وأنه لن يهلك . ثم راح فى نوم عميق ، حينما استيقظ على أصوات قريبة ، فصرخ بأعلى صوته . وظل يصرخ طوال 20 دقيقة لإرشاد رجال الإنقاذ إلى مكانه .

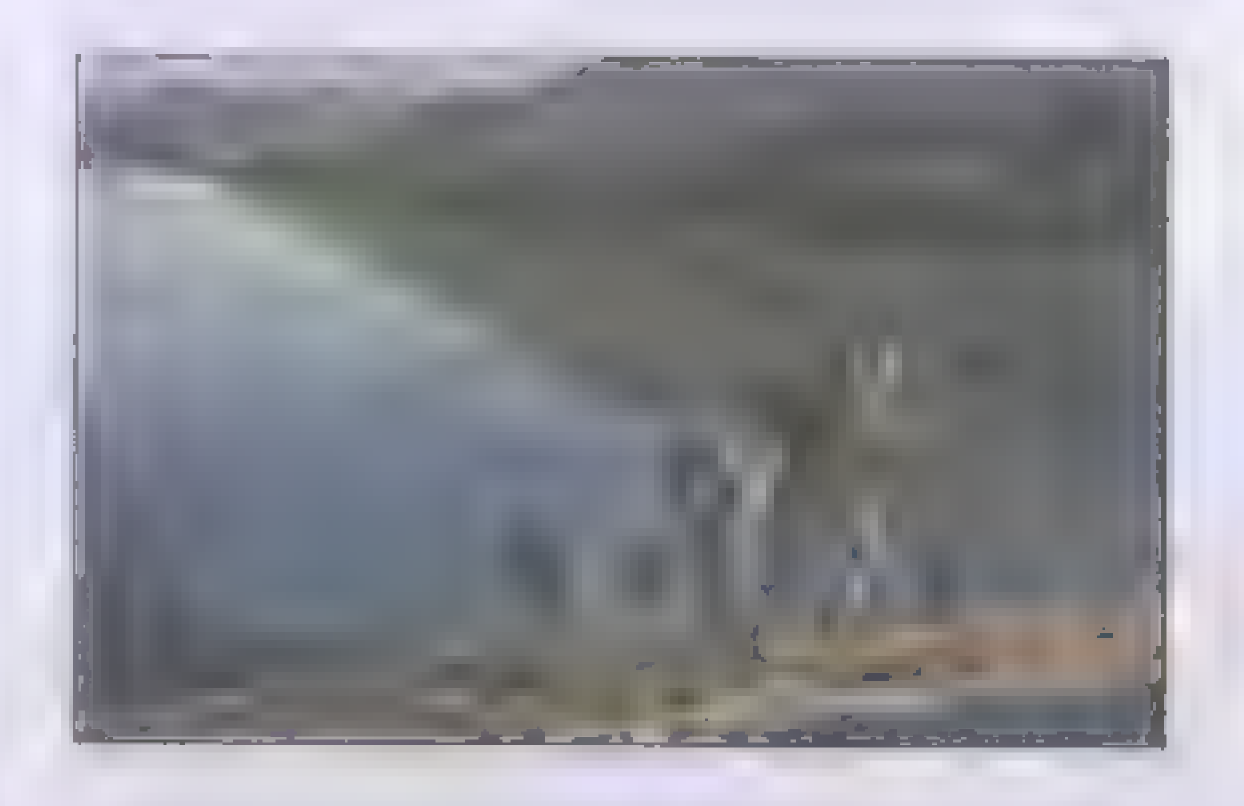
كانت الفرقة الثالثة قد استكشفت الغابات والأخاديد عند مستوى المخيم الثالث . وقرر قائد الفريق الصعود إلى أعلى فى اليوم التالى حيث المخيم الفرعى رقم 4 على ارتفاع 2750 مترًا .

أطل رجل إندونيسى ، من فوق ربوة تبعد حوالى 30 مترًا ، وحياه إدوارد وطلب منه الماء . ومع أن الرجل لايتكلم الإنجليزية ، إلا أنه تقدم منه وأعطاه زجاجة بلاستيك .

أرسل رجال الإنقاذ فى طلب الطبيب من المخيم الثانى على الجبل ، فجاء بعد أربع ساعات ، وأخذ ينظف جروح إدوارد ويعالجه ، حيث أخبرهم عن بول . فلما فحصه الطبيب ، استنتج أن الوفاة كانت فجائية بعد سقوطه مباشرة وتعذر هبوط أية طائرات هليكوبتر لنقل إدوارد بسبب الرياح الشديدة . ومر يوم آخر قبل أن تهدأ العاصفة ، حتى يتمكن إدوارد من الانطلاق هبوطًا مع رجال الإنقاذ ، فى رحلة شاقة ـ وهو محمول فوق محفة ـ لمدة يومين . وعند هبوطه إلى سفح الجبل ، جاءت طائرة عسكرية هليكوبتر ، ونقلته مباشرة إلى مستشفى فى العاصمة جاكرتا .

أكد الأطباء وجود كسر فى رسغه الأيسر ، كما أصيب بكسر وتمزق فى الأوتار بعضلات رسغه الأيمن . كما كسرت أربعة ضلوع فى جانبه الأيسر ، وضلع واحد فى جانبه الأيمن . وبعد أيام نقل إدوارد إلى مستشفى سلسكى Sussex فى بريطانيا لاستكمال العلاج ، وخرج بعد حوالى شهر ونصف الشهر .

وفى يناير 1989 ، التحق إدوارد بمغامرة أخرى لمشروع رالى فى جمهورية الكاميرون وسط القارة الإفريقية ، حيث تضخم المشروع وأصبح يضم 3500 مدرب من 30 دولة حول العالم . ويقول إدوارد : إنه مهما كان الوضع يائسًا ، فلا يجب أن نفقد الأمل أبدًا .



بتصرف مختصر عن المصدر :

[illegible]

داهمتهما العاصفة الجليدية ..

[بقلم : فرانكلين جونز]

كان صباحًا من أيام شهر نوفمبر 1976 ، حينما تطلعت من نافذة مطبخ منزلى الريفى ، فى شمال ولاية نيوهامبشاير New Hampshire الأمريكية المتاخمة للحدود الكندية والتى تطل على المحيط الأطلنطى . وكان الجو مكفهرًا ، والسحب قاتمة ورذاذ المطر يطرق زجاج النافذة ، وغمغمت بصوت عال : « إنه يوم لا فائدة فيه ! »

كانت ابنتى الصغيرة كارولاين Carolyn ـ 9 سنوات ـ تريح ذقنها فوق كتفى ، وقد ذكرتنى منذ لحظات بوعدى السابق لها ، للقيام برحلة إلى الغابة القريبة لمشاهدة كهوف حيوانات الشيهم Porcupine الصغيرة ، التى تشبه القنافذ الكبيرة الحجم فى أشواكها الحادة . وأشرت إلى الأمطار ، والسحب المتجمعة ، وقلت لها : « .. انظرى بنفسك . إننى لا أريد أن تبتل ملابسك ! » . فوافقت على ذلك بصوت خافت ، ومرت فترة صمت طويلة ، كانت كارولاين تعانى خلالها مشاعر خيبة الأمل .

وكان يجب علىَ أن أنسى الموضوع بأكمله ، إلا أننى بدلاً من ذلك قلت لها : « حسنا ، أعتقد أنه يمكننا القيام برحلة قصيرة ، على أن نستبدل ملابسنا عند العودة »

قفزت كارولاين فى سعادة ، وارتدت ملابسها الثقيلة ، وأعدت بعض الشطائر والحلوى والسندوتشات التى تحبها . وانطلقنا قبيل الظهيرة مباشرة ، نحو مزرعة فلينت لوك Flintlock ، وغابة ميلان هيل Milan Hill ، التى تقع شمال مدينة برلين فى الولاية . وعبرنا طريق نقل الأخشاب القديم داخل الغابة حتى نهايته ، فأوقفت السيارة ، ومشينا تحت الرذاذ الدافئ جنوبًا . وعبرنا من حول مستنقع أشجار الحور Alder العميق ، وتسلقنا العديد من الهضاب والمرتفعات الصخرية ، حتى وصلنا إلى منطقة الكهوف الصغيرة التى تتخذها حيوانات الشيهم أو « أبو شوك » ملجأ لها .

استكشفنا الكهوف التى تمتد بطريقة عمودية فى طبقة الصخور السطحية ، ولكن الحيوانات لم تكن قد عادت بعد من رحلة الصيد ، ويبدو أنها لن تعود إلا عند حلول المساء . ومع ذلك فقد رأت كارولاين أن تبنى بعض



[illegible] فى كهوف حيوانات الشيهم [illegible]
الشائكة

الملاجئ المناسبة للحيوانات الصغيرة ، فأخذت تجمع بعض الأغصان ، وأوراق الأشجار الجافة والحشائش ، وأخذت أساعدها في بناء الملاجئ المقوسة في الكهوف الضيقة .

في أثناء الاستراحة القصيرة ، تناولنا الفطائر والحلوى . وخطر لي أن درجة الحرارة قد انخفضت بشكل ملحوظ ، حتى إنني شعرت برعشة مفاجئة . فقلت لابنتي : «دعينا نعود الآن . فقد بلغت الثانية بعد الظهر» . وأخذنا في السير ونحن نتكلم ، ولكني شعرت بالبرد الشديد على وجنتي وفي ساقي من خلال بنطلوني المبتل . وهبطت القشور الأولى من الجليد Snow مختلطة مع الأمطار . ومع مرور الوقت كنا قد وصلنا إلى المستنقع الكبير ، وشاهدنا هناك بعض الإوز الكندي البري المهاجر Canadian Geese في طريقه نحو الجنوب . ولكن الجو كان قد تغير تمامًا ، وأصبحت السماء بيضاء من كثافة الجليد الساقط .

وحتى في أثناء الجو الصافي ، فإنه يصعب على المرء أن يدور حول المستنقع ، ما لم يتخذ من علامة مميزة على الشاطئ الآخر هاديًا له ليرشده إلى الطريق . وكنت دائمًا أتخذ من شجرة صنوبر Pine عالية ، دليلا مميزًا . ولكن الآن مع سقوط الجليد بكثافة فتصعب علىّ الرؤية لمسافة أبعد من 30 مترًا بوضوح .



في طريق عودتهما كان الجليد يسقط بحرارة ، وشاهدا بعض الإوز الكندي المهاجر عند البحيرة

وعبرنا المستنقع ، ثم مشينا بين الأشجار والأجمات ، نكافح الرياح العاتية ، ونحاول أن نراقب الطريق ، وأن نزيل عن وجهينا الجليد المتساقط فى نفس الوقت . وبعد فترة توقفت كارولاين وقالت : « هذا هو بيتنا ؟ » وأشارت ناحية اليمين ، وأردفت « .. البيت الذى صنعناه للحيوانات ! » . كان من الواضح أننا فقدنا الطريق ، فى أثناء اهتمامنا بمكافحة الجليد ، وكنا ندور فى حلقة حول نفس المكان . ولكن كارولين لم تظهر اهتمامًا حول نظريتى وقالت : « إننى أشعر بالبرد ! » . فقلت لها إن علينا أن نبدأ من جديد ، وسوف نصل إلى المنزل بسرعة .

انطلقنا نحو المستنقع مرة أخرى ، حين قالت « .. لقد تجمد السويتر الخاص بى » . فقلت لها عليك الجلوس هنا لدقائق ، حتى أصل إلى الطرف الآخر وأعثر على شجرة الصنوبر العالية . وتقدمت ببطء ، ولكن عيناى كانتا تراقبان كارولاين دائمًا ، وأنا أتكلم بصوت عال حتى لاتشعر بالخوف . ولكن لم يكن هناك أشجار ، فذهبت إلى الناحية الأخرى ، ولكن المنظر كان غريبًا ، حيث لم أتعرف علامة طبيعية واحدة مألوفة لى .

كانت الساعة قد وصلت إلى الرابعة عصرًا ، ومع ذلك واصلنا السير منحرفين قليلاً نحو اليسار للوصول إلى الطريق الرئيسى . كان الجليد فى أثنائها يتساقط بكثافة ، حتى إن كارولاين لم تعد ترى بوضوح ، وأمسكت بطرف قميصى . ولكننا تابعنا مسيرنا عبر الرياح الباردة .

وحل الظلام سريعًا ، ولكن لمعان الثلوج البيضاء عند الغروب ، جعل من الممكن رؤية الأغصان الداكنة التى نصل إليها . وبدأت كارولاين تتعثر فى مشيها ، بينما أحاول أن أجذبها إلى الأمام ، وغمغمت : « إن قدمى تؤلمنى يا أبى ! » . فتوقفت لأربت على وجهها ، وأزيل الجليد المتراكم على شعرها ، وقلت لها : « إننى أعرف أنك تشعرين بالبرد ، ولكن علينا الاستمرار حتى نصل » ، ومشينا بسرعة لفترة ، حينما قالت كارولاين : « لا أستطيع السير . لم أعد أشعر بشىء ! »

وقفز إلى ذهنى مباشرة تلك الحادثة التى كنت قرأتها فى إحدى المجلات عن أب حاصرته الأمطار والثلوج مع ابنه فى المرتفعات . وقد حاول الأب الحفاظ على دفء جسد ابنه ، بأن احتضنه طوال الوقت . ولكن الصبى فقد حياته قبل الصباح ، بفعل عوامل التعرية من أمطار

وعواصف وثلوج ، حيث لم تتأهل أنسجة جسمه بعد لمقاومتها مثل الناضجين الذين اكتمل نموهم . وبينما كنا نمضى بلا أمل ، كانت هذه القصة تومض مرات فى ذهنى . وربما كنت فى نفس الموقف ، أو ما هو أسوأ ، فقد انخفضت درجة الحرارة كثيرًا عما كانت منذ ساعات . وأصبح كلانا مغطى بطبقة خفيفة من الجليد الهش . وبالطبع فإن ابنتى تشعر بالبرد أكثر منى .

شاهدت حافة صخرية داكنة ، فقلت لها : « دعينا نحتمى بهذه الحافة ، ونشعل كومة من النيران » . بينما جلست ابنتى بجانب الصخور ، أخذت فى جمع بعض الأغصان الساقطة وأوراق الأشجار ، وفوقها الأوراق الإبرية الخضراء لأشجار الصنوبر . ولكن القداحة لم تعمل على الإطلاق ، وربما تأثرت بالمياه التى تشبع بها جيب بنطلونى . لم تكن كارولين قد وجهت لى لومًا على خطئى فى فقد الطريق ، أو فقدت ثقتها بى ككلب مسئول عنها وعن حياتها ، ولكنها أخذت تبكى فى صمت ، وقد غص حلقها من النحيب .

فكرت بسرعة ، فربما جعلتها ملابسى أكثر دفئًا من سويترها المبلل ، وبالفعل نزعت عنها ملابسها ، وارتكت بعض ملابسى الصوفية والقطنية الجافة التى أشعرتها بالدفء .

كنت فى حاجة إلى لحظة صافية للتفكير العميق . تسلقت حافة ربوة قريبة ، وجعلت أتفحص المكان من حولى . لم أكن قد واجهت خطرًا حقيقيًا طوال حياتى ، ويمكننى السير طوال الليل ، متحملا الرياح الباردة والجليد الساقط . ولكن هذا ما لا تستطيعه ابنتى بالتأكيد . وحملقت بين الأشجار ، فشاهدت بقعة داكنة من الأرض عن الجليد الأبيض من حولها . وتركت ابنتى للحظات وتحقق لى أنها المستنقع ، ومشيت بضعة أمتار فى كل اتجاه ، وتأكد لى ما توصلت إليه . ولكن فى أى جانب نقف نحن من المستنقع العميق ؟!

فى تلك اللحظة سمعت صوتًا ، فادرت رأسى بسرعة كى ألتقط الاتجاه ، وكان نباح كلب آتٍ من بعيد . ثم عاد من جديد ، وكان يتردد من الناحية اليمنى ، ثم تبعه صمت رهيب . ثم جاء مرة أخرى ، ولأول مرة أخذ عقلى يعمل بوضوح . فقد يكون ذلك هو الفرصة الوحيدة المتاحة ، كنجدة سريعة من السماء لإنقاذنا ، لو تتبعنا اتجاه صوت الكلب !

جلست بجانب كارولاين عند الصخور وقلت لها : « .. لو ظللنا هنا فسوف نموت . يجب علينا السير

والخروج من هذه الغابة . فقد سمعت صوت نباح كلب ، ويمكننا أن نتتبع اتجاه صوته ! » . ولم ترد ، ولكن كان علىّ أن أجعلها تمشى بأى حال ، فلا يمكننى حملها ، فوق الجليد والصخور . ولكنها قالت : « إننى لا أسمع صوت كلاب » ، فقلت لها : إنها سوف تسمعه لو وقفت على الحافة الصخرية .

ساعدتها على الوقوف على قدميها ، وأمسكت بطرف قميصى ، وأخذنا فى السير من مرتفع إلى آخر . ولم نكن نسمع سوى خطواتنا وأنفاسنا . ثم نبح الكلب مرة أخرى ، وتضرعت إلى الله أن يحفظ هذا الصوت حتى يرشدنا إلى الطريق الصحيح .. وقد حدث بالفعل ، فانتظام هذا الصوت بين الحين والآخر أرشدنا إلى الاتجاه نحوه .

عند الهضبة الخامسة ، سمعنا صوت خرير للمياه تصب فى جدول ، ولكننا لم نر شيئًا من كثافة الجليد من حولنا . وقلت مشجعًا : « فلنحاول عبور هضبة أخرى ! »

انزلقت من المنحدر ، وكارولاين متعلقة بى ، ثم تحركنا بحذر عبر الأشجار حيث وصلنا إلى منطقة خالية فسيحة . وتأكدت أننا نقف فوق طريق الأخشاب القديم ، وصحت فرحًا وأنا أحتضن كارولاين : «لقد نجحنا يا عزيزتى ، لقد وصلنا إلى الطريق ! »

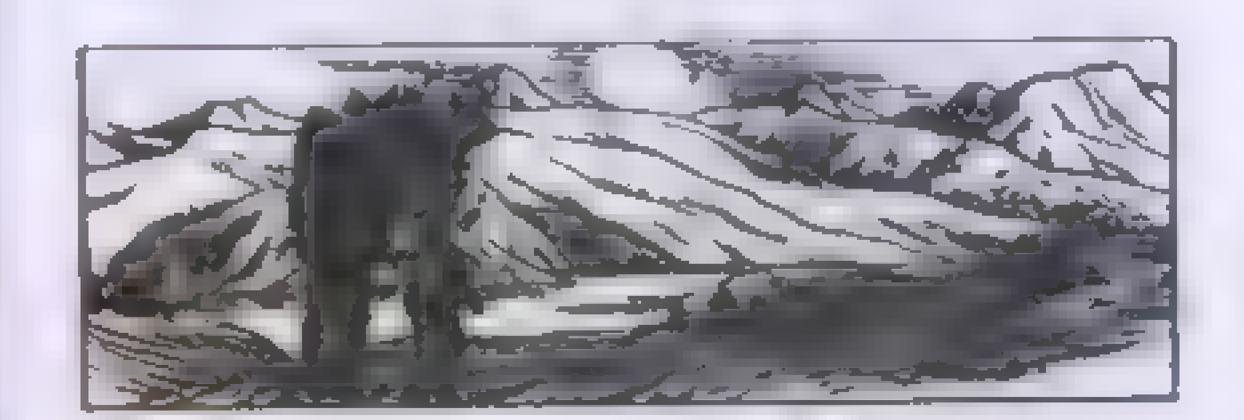
ولكننى لم أكن متأكدًا ، فهل هو نفس طريق الأخشاب ؟ أم طريق آخر ؟! فلقد كان مغطى بطبقة كثيفة من الجليد . ثم من أى اتجاه نذهب ؟ وقررت التوجه شمالاً ، حيث سرنا ببطء ، مسترشدين بالحافة الجليدية اللامعة . وبعد حوالى 20 مترًا ، شعرت بأننا نمشى فوق أخشاب ، لقد كنا نعبر جسرًا صغيرًا فوق جدول ضيق ، سبق أن عبرناه .

انحنيت لتلمس طرف الجسر ، ثم الطرف الآخر . فسألتنى كارولاين : « ما الذى تفعله يا والدى ؟ » فقلت لها : إننى أبحث عن مسمار كبير كنت قد ربطت فيه قاربا فى إحدى الرحلات السابقة . فلما عثرت عليه ، قلت لها : إننا فى الاتجاه الخاطئ ، وعلينا التوجه فى الناحية الأخرى من الطريق نحو السيارة .

وصلنا إلى السيارة فى نهاية الطريق ، ونبح الكلب مرة أخرى ، ونحن ندخل باب منزلنا . وكان الصوت آتيًا من إحدى المزارع القريبة . وشكرت الله كثيرًا أن أرسله لنا كى يهدينا إلى طريق النجاة .

لم تكن الساعة قد تجاوزت السادسة مساءً ، وكان العشاء جاهزًا لتناوله . وبعد حمامات ساخنة سريعة ،

واستبدال الملابس المبتلة، جلسنا حول المائدة فى سعادة. ولم تقل كارولاين شيئاً عما حدث لنا، لإخوتها أو والدتها. ولكنها اقتربت منى فى المساء، بينما كنت أشعل الپايپ Pipe وقبلتنى قائلة «شكراً يا أبى، لإعادتنى إلى المنزل!»



بتصرف مختصر عن المصدر:

Yankee Magazine, by Franklin Jones, Dated December 1976

Published by Yankee Inc. Dublin, New Hampshire 03444, U.S.A

ضلوا طريقهم نحو المزرعة..

[بقلم: هيلين مورو]

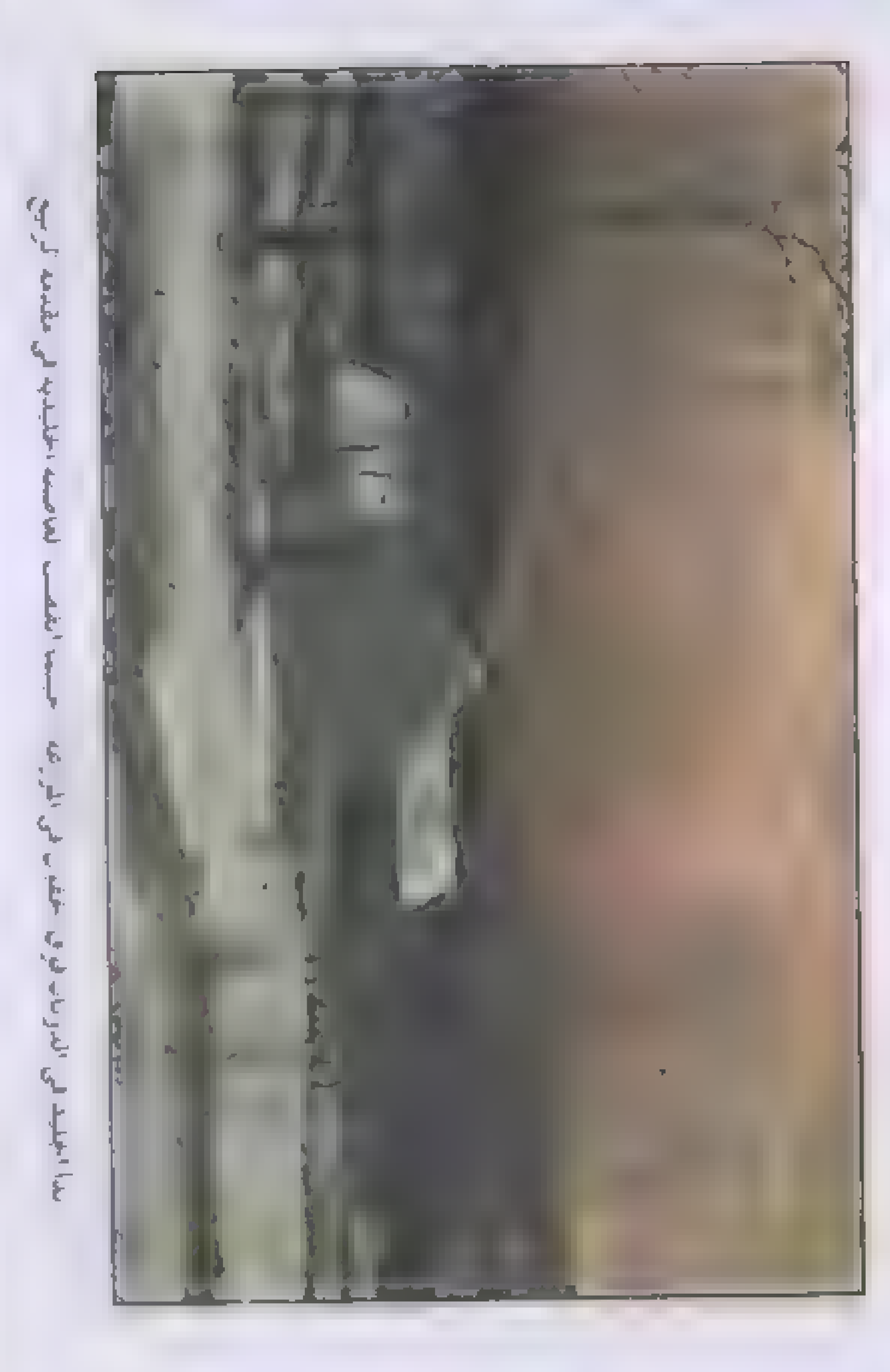
سطعت الشمس صباح يوم 15 مارس، وقد بدأ جليد الشتاء يذوب، ويصبح قطعاً متناثرة فى الحقول. ونظر ويليام ميللر William Miller عبر النافذة إلى مزرعته، بالقرب من مدينة سنتر Center بولاية نورث داكوتا North Dakota فى الشمال الأوسط الأمريكى، وقال لزوجته بلانش Blanche: أعتقد أن الجليد سوف يختفى من الحقول قبل حلول المساء!»

بعد أن تناول الزوجان وجبة ساخنة عند الظهيرة، تطلع ميللر من نافذة المطبخ، وصاح: «يا إلهى!». كان هناك سحابة سوداء قادمة من الشمال الغربى، وتتحرك فى إصرار نحوهم. وقالت بلانش: «إنها عاصفة ربيع قادمة من الشمال!». وأخذ الزوجان يرقبان فى قلق تقدم السحب العاصفة، ثم قال ميللر: «من الأفضل أن تدخلى الماشية إلى الحظائر، وسوف أذهب أنا إلى المدرسة للعودة بالأطفال. فإننى لا أطمئن إلى منظر العاصفة».

امتطى ميللر أحسن جياده ، بعد أن ارتدى الملابس الثقيلة المناسبة . وانطلق نحو الطريق المؤدى إلى المدرسة ، على بعد حوالى أربعة كيلومترات . وفى تلك اللحظات كانت السحب القاتمة ، قد حجبت أشعة الشمس . وأخذ الجليد يتساقط بشدة مع رياح عاصفة . ومع ذلك شق ميللر طريقه إلى أن وصل إلى حظيرة المدرسة ، فربط جواده بين الجياد الثائرة ، وأسرع نحو مبنى المدرسة .

كان المدرس والتلاميذ قد شاهدوا اقتراب العاصفة الجليدية . ولكنهم تظاهروا بتركيز أفكارهم فى الدروس ، ولأن الكثير من الأطفال من أبناء المزارعين فى المنطقة ، وتنتظرهم جيادهم الخاصة وزحافاتهم فى حظيرة المدرسة ، إلا أن القاعدة المقررة ، أنه عند هبوب العواصف الثلجية ، فلا يسمح على الإطلاق لأى طفل بمغادرة المدرسة ، إلا إذا حضر أحد والديه .

اصطحب ميللر أبناءه الثلاثة من الفصل الدراسى ، وأعطى لابنته الكبرى هانا Hannah ـ 15 سنة ـ بعض الأغطية والأوشحة الإضافية ، كى تغطى بها أخاها إيدى Eddie ـ 11 سنة ـ وأختها مونيكا Monika ـ 8 سنوات ـ فى الزحافة الثلجية الخاصة بهم ، والتى يجرها الجواد العجوز ماكس Max .



استقر الأطفال فى زحافتهم، وتدثروا بالأغطية الصوفية، وأخذت هانا تتأهب للمسير نحو المنزل، كى تسبق أباها على جواده. وكان الجواد العجوز ماكس يعرف تمامًا الطريق الذى قطعه عشرات المرات، وفي كل مرة يتجه ناحية البوابة الشمالية المؤدية نحو المنزل. ولكن هزيم الرعد أفزعه فجمح وانحرف ناحية البوابة الجنوبية. ولم تعرف هانا ماذا حدث لتعذر الرؤية خلال الجليد المتساقط. وصاحت تطمئن إخوتها الصغار: «لاتنزعجوا.. سوف نصل إلى المنزل قبل أبينا ! »

لم تستطع هانا أن تفعل شيئًا للسيطرة على الجواد، بعد أن سقط الزمام تحت السرج، وأصبح بعيدًا عن يدها. وبعد فترة أبطأ الجواد تقدمه ثم توقف، وترجلت هانا فوق الجليد، وهى لاتعرف إن كانوا وسط الحقول، أو على الطريق نحو المنزل. فقد غدا كل شىء من حولها مغطى باللون الأبيض. ثم استأنفت الزحافة سيرها، وسقط الجواد مرات، وخاض فى حفر امتلأت بالمياه الذائبة ثم سقط فى بركة من الماء.

نزلت هانا مرة أخرى، وأخرجت الجواد من الماء، وقد غمرها الماء إلى خصرها. وأصلحت من شأن عريش

الزحافة وربطته. ثم شاهدت بالقرب منها قمة عمود من سياج تظهر فوق الجليد. فحفرت الجليد إلى أن وصلت إلى مكان الأسلاك الشائكة، على أمل أن تقودها الأسلاك إلى مزرعة قريبة. وخرج إيدى ليرى ماذا تفعل، واشتركا معًا فى تكسير القناع البلورى المتجمد على وجه الجواد ماكس. ولم يهتديا إلى أية علامات أخرى.

انطلقت الزحافة فى طريق مجهول، إلى أن ارتطمت الزحافة بعائق ما فانقلبت على جانبها، وارتمى الأطفال على السقف المصنوع من القماش السميك. وخرجت هانا وأخوها إيدى مرة أخرى لدفع الزحافة دون جدوى، فقد كانت الزحافة ثقيلة جدًا.

أدركت هانا وسط الظلام الدامس، أن عليها أن تفكر فى طريقة لحماية أخويها باعتبارها الأخت الكبرى. وأخذت تجهز داخل الزحافة المقلوبة بالأغطية والبطاطين، كى تجعله مريحًا دافئًا. ووضعت غطاءين حول مدخل الزحافة من الجانبين، وأحكمت تثبيتهما. وظلت الرياح تهب بشدة، وهانا تحاول بقدر الإمكان سد الثغرات والفتحات الممزقة، حتى لا يتسرب الجليد إلى الداخل. ولم يكن أمامها سوى أن تجمع القطع الممزقة ووضعتها فوق الزحافة، وارتمت فوقها كى تثبتها.

وظل الجليد يتساقط بلا انقطاع ، كانت هانا خلالها تصيح بمرح فى أخويها حتى لاينامـا ، وتحثهما على ألايقفلا عيونهما ، وأن يحركا سيقانهما وذراعيهما ، وأن يتكلمـا بصوت عـال حتـى تسمعهما .. وأخـذوا يتضرعون جميعًا بابتهالات إلى الله كـى يساعدهم . وهكذا رفضت هانا أن تدخل إلى الملجأ الذى صنعته داخل الزحافة ، حتى لا تصيب ثيابها المكسوة بالجليد أخويها بالبرودة ، وحتى تحافظ على مكان الأغطية الخارجية فى مكانها ، ولا تتسرب الرياح إلى الداخل . وأخذت هانا تحدث أخويها وتقص عليهما القصص والأناشيد ، وهى تتجمد شيئًا فشيئًا من البرد فى الخارج ، وجعلتهما يعدانها ألاينامـا ، مهما داعبهما النعاس .

* * *

عندما عاد ويليام ميلر إلى المنزل وسط العاصفة ، كان واثقًا أن الجواد العجوز ماكس لابد أنه أوصل الأطفال إلى المنزل كما يفعل دائمًا . وعندما قابلته زوجته عند الباب ، حدق كل منهما فى الآخر مذهولاً . وعلى الفور أخطر فرق الإنقاذ تليفونيًا .

انطلق حوالى 40 رجلاً مخاطرين بحياتهم ، للبحث فى

الحقول والطرق المختلفة التى تقع بين المدرسة ومزرعة ميلر . وكانوا يتوقفون فى بعض المزارع لتغيير الجياد ، ولعلاج الصقيع واحتساء القهوة الساخنة ، ووضع خطط جديدة . لقد عاد جميع الأطفال الآخرين سالمين إلى منازلهم ، فأين ذهبت زحافة هانا ؟

بلغت سرعة الرياح حوالى مائة كيلومتر فى الساعة ، وهبطت درجة الحرارة إلى 18 درجة مئوية تحت الصفر . وأصبح الظلام دامسًا من الضباب الكثيف والجليد المنهمر . واضطر الباحثون للتوقف حتى طلوع النهار .

فى الصباح الباكر ، انطلق الباحثون للعثور على آثار الزحافة . ولاحظوا أن هذه الآثار تبدأ عند البوابة الجنوبية لمبنى المدرسة ، ثم طمسها الجليد المنهمر بعد ذلك . فانطلق الرجال بالزحافات والجياد نحو ذلك الاتجاه ، وانتشروا فى الحقول المجاورة والطرق المختلفة .

فى الساعة الثانية من بعد الظهر ليوم الثلاثاء ـ أى بعد 25 ساعة من اختفاء الأطفال ـ شاهد الباحثون شيئًا على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب المدرسة . وكانت الزحافة المقلوبة ، وإلى جوارها شبح جواد شبه متجمد ، ولكنه لايزال على

قيد الحياة . وشاهدوا جسد هلنا منكبًا على الزحافة وقد امتدت ذراعاها حول أخيها وأختها ، كي تحميهما عند موتها ، كما كانت تفعل دائمًا طوال حياتها .

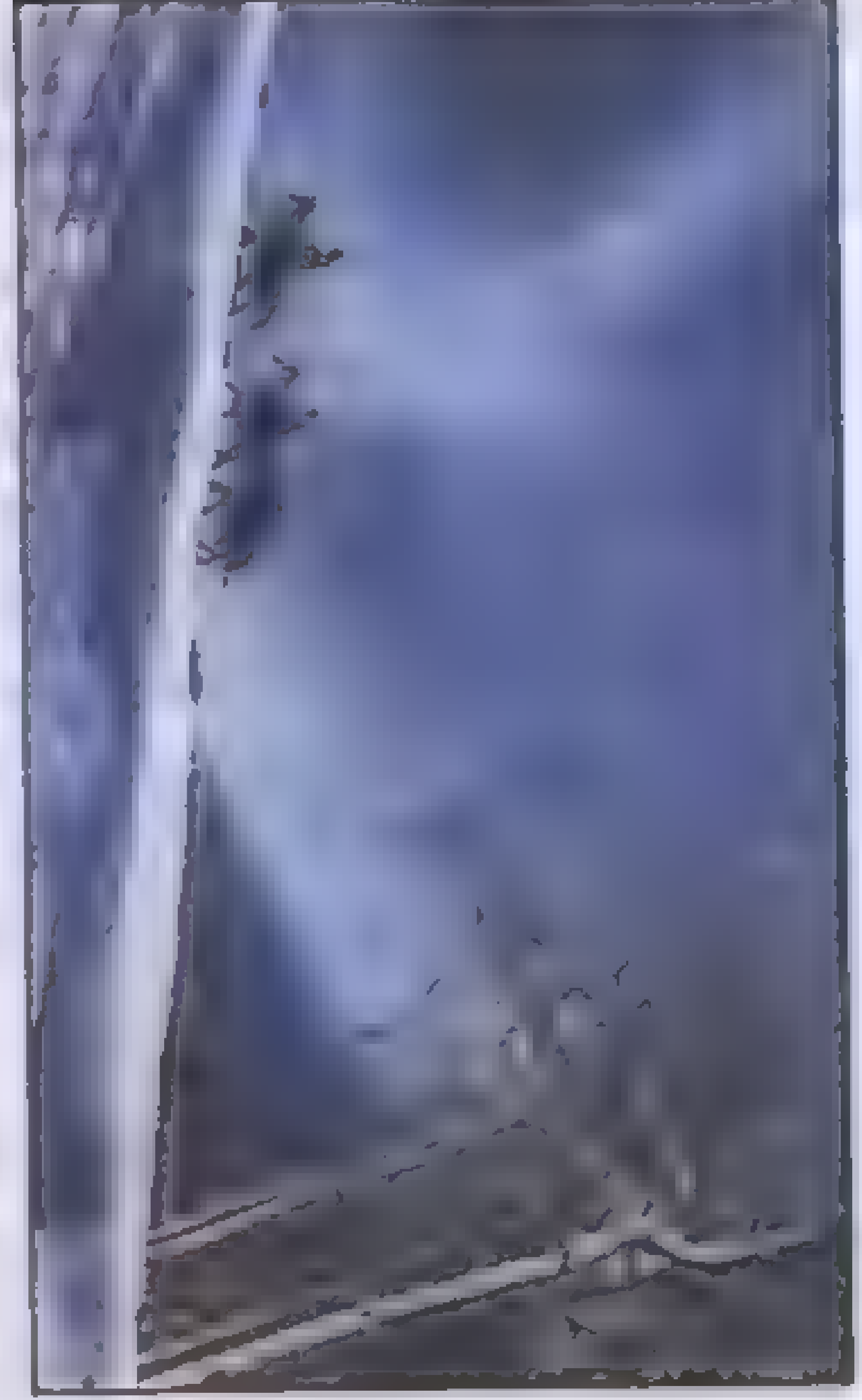
رفعها الرجال برفق ، وأزالوا الثوب المتجلد ، وعثروا في داخل الزحافة على إيدى وأختـه مونيكا ، وقد تجمد جسماهما ولكنهما على قيد الحياة . وقد وعدا أختهما ألا يناما هذا النوم الرهيب ، الذى كانت هلنا تعلم أنها لن تستيقظ منه .

ويشاهد المرء اليوم لوحة تذكارية في فناء المحكمة العليا بمدينة سنتر من الجرانيت ، لتكريم ذكرى هلنا ميلر ، التى ضحت بحياتها للحفاظ على حياة أخويها .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Reader's Digest Magazine , by Helen Murrow , dated Dec 1960
Pleasantville , N.y. 10570 , U.S.A.



انطلق الباحثون بمصابيحهم نحو جرف الثلوج ، للبحث عن آل ماك المفقودة والأطفال الثلاثة .

وحيدة فى برارى أوستراليا ..

[بقلم : روبين دافيدسون]

قررت القيام بعمل فريد ، كمشروع للتخرج من جامعة بريسبان Brisbane فى شرق أوستراليا ، وذلك لاجتياز برارى أوستراليا القاحلة التى تقع جهة الغرب ، والتى تعد من أجف المناطق وأكثرها عزلة فى العالم . وقد وافقت إدارة الجامعة ، على القيام بهذه المغامرة منفردة على مسئوليتى الخاصة ، وزودتنى بالتكاليف والمعدات اللازمة .

توجهت إلى مدينة آليس سبرنجز Alice Springs وسط القارة الأسترالية ، كى تكون بداية لنقطة انطلاقى فى رحلة طولية تمتد إلى 2700 كيلومتر غربا حتى المحيط الهندى . وهذه البقاع مجهولة فى الحقيقة ، ولا يعرفها جيدًا سوى الوطنيين الأوستراليين الأصليين Aborigines ، مع قلة من المستكشفين الذين يقطعونها بالسيارات . وكانت الجمال هى ما أحتاج إليه لقطع هذه الفيافى ، وأمكن شراء أربعة منها . ثم انطلقت غربا فى بداية رحلتى فى الثامن من أبريل 1977 ، مصطحبة كلبتى الأليفة فيكى Vicky .

قامت روبين بشراء أربعة جمال من مدينة وسط أستراليا حيث بدأت رحلتها

بعد مرور اليوم الأول ، قدرت أننى قد قطعت حوالى 30 كيلومترًا ، وأقمت خيمتى بالقرب من الطريق ، وأشعلت نارًا بعد أن قيدت الجمال لترعى . وقضيت الليل فى الإغفاء والتساؤل عما يخبئه لى القدر . وعندما استيقظت وجدت الجمال الأربعة جاثمة بالقرب من أمتعتى ، بينما كانت الكلبة فيكى تغط فى طمأنينة تحت بطاطينى .

فى اليوم الرابع وصلت إلى منطقة يسكنها المواطنون الأصليون ، فتوقفت لثلاثة أيام للاستجمام . وكانوا يتكلمون لغة « بيتجانتجارا » فيما بينهم . ولكن هذا لم يمنع التفاهم بيننا ، وقد تعلمت منهم بعض الكلمات والعبارات بالفعل ، حيث دونتها لمزيد من البحث بعد ذلك .

فى اليوم الثامن ـ كان أصدقائى البدائيون قد حذرونى من أن الطريق الجبلى الصاعد لم يستخدم منذ سنوات . وقد اكتشفت ذلك بعد حوالى 25 كيلومترًا ، إذ انمحت كل آثار لأى درب أو طريق . وقضيت عدة ساعات أدرس الخرائط والبوصلة . وبرغم ذلك تمكنت من الوصول إلى محطة تمب داونز بعد ثلاثة أيام . وملأت أوعية الماء ، وواصلت السير إلى أيرز روك Ayers Rock على بعد 240 كيلومترًا إلى الجنوب الغربى . ودخلنا فى منطقة التلال الرملية الحمراء المنبسطة إلى مدى البصر .

اليوم الحادى والعشرون ـ بعد أن غادرت آيرز روك ، توجهت نحو دوكر ريفر ، على الحافة الشرقية من صحراء جيبسون Gibson . وسارت الأمور على ما يرام إلى أن هطل المطر ، فأصبح السير صعبًا بالنسبة للجمال . ولكننى قدتها بصعوبة وأنا أتقدمها ، ولكن الرياح الشديدة أثارت الجمال . ولفزعى رأيت «دوكى» أفضل جمالى وهو يعرج ، فتوقفت على الفور . وقضيت أربعة أيام وأنا أجمع الأحطاب لدوكى ، وأتوسل إلى الله أن تتحسن حالته . ثم سرنا إلى دوكر ريفر بصعوبة وبطء .

اليوم التاسع والستون ـ عندما تحسنت حال دوكى ، بحيث صار قادرًا على الرحيل ، استأنفنا المسير ودخلنا صحراء جيبسون . ولم يمض وقت طويل حتى رأيت عددًا من الجمال البرية . وتذكرت ما قيل لى فى المدن والمحطات السابقة ، أنه لابد من قتل الجمل البرى الثائر ، وإلا فإنه سوف يهاجمك . ورأيت على بعد 200 متر ، ثلاثة جمال ضخمة ، فحشوت البندقية وأعددتها . ولما اقتربت منا كثيرًا ، أطلقت النار ولكننى أخطأت التصويب . وكان على أن أعيد عملية الإطلاق أربع مرات حتى أصرع الجمل القائد ، وسارع الآخران بالابتعاد . وعندما هبط الظلام قيدت جمالى

وحاولت أن أبقيها قريبة منى، وكنت أسمع الجملين الآخرين وهما يدوران حول مخيمى. وعند الفجر لاحظت أحدها قريبًا منى، ولكن جمالى راحت تنطلق بعيدًا برغم قيودها. وحاولت طوال ساعات جمعها دون جدوى. وكان لابد من قتل أحد الجمال البرية، فأحسنت التصويب، برغم انهمار دموعى.

اليوم الحادى والسبعون - لم يكن أمامى إلا السير فى طريقى، ولم يبق معنا سوى 40 لترًا من المياه. وحسب خريطتى كان هناك بئر وخزانٌ للمياه فى طريقنا. وعندما عبرنا مجموعة من التلال الرملية، شاهدت فى آخرها بقعة خضراء عن بعد، فتلاشى خوفى. وسرعان ما شربت الجمال وكذلك فيكى، ونعمنا جميعًا بالماء البارد.

اليوم الخامس والسبعون - جاء إلى مخيمى عدد كبير من الأوستراليين فى سياراتهم وقدمت لهم الشاى. وفى النهاية قرر ضيوفى أن يصطحبنى أحدهم إلى المكان التالى على بعد مسيرة يومين. وعندما شرعت فى السير صباح اليوم التالى، لحقنى الشيخ القصير إيدى، وكان رجلا مرحًا غزير المعرفة، وأسعدنى طوال الوقت بحديثه المرح، حتى وصلنا إلى محطة بيبا ليا.

بعد ثلاثة أيام من الراحة، حزمت أمتعتى للرحيل إلى واربيرتون على بعد 290 كيلومترًا غرب صحراء جيبسون. وهنا أعلن إيدى أنه سوف يصطحبنى.

اليوم الثمانون - بدأنا المسير لثلاثة كيلومترات، حينما صمم إيدى على التحول عن الطريق لقطف أوراق وأزهار نبات البيتورى المخدر، الذى يزرعه السكان الأصليون كشبيه لنبات التبغ. وأخذ يبحث بين الوديان لساعات، حتى نفد صبرى.

اليوم الرابع والتسعون - افترقنا فى واربيرتون، وعاد من حيث أتى، ولكن أمامى مرحلة صعبة تستغرق أيامًا طويلة لمسافة 560 كيلومترًا على طريق جان باريل، عبر الصحراء الوعرة. ولاتخاطر السيارات أبدًا باقتحام هذا الطريق، حيث إنه عبارة عن أخدودين ضحلين وعرين.

اليوم الثانى عشر بعد المائة - بعد مسيرة حوالى أسبوعين، قطعت خلالها حوالى 350 كيلومترًا على طريق جان باريل، خيمت فى المكان. وفى الفجر لم أجد من الجمال سوى دوكى الذى كان يشكو من ثقب فى قدمه. وأخذت بنصيحة قديمة، وأخذت أصنع قدحًا من الشاى،

دون أن ينتابنى الرعب . وبعد أربع ساعات عادت الجمال الأخرى . وبعد أن عالجت قدم دوكى ، بدأنا المسير مرة أخرى .

اليوم الثامن عشر بعد المائة ـ كان من المفترض أن أجد مزرعة كارنيجى للماشية فى نهاية طريق جان باريل ، ولكنها كانت مهجورة بسبب الجفاف . فانحرفت ناحية الشمال الغربى إلى مزرعة جلينيل على بعد 120 كيلومترًا للتزود بالمياه والطعام . وأخيرًا وصلت بصعوبة إلى المزرعة ، حيث استقبلنى أهلها بالترحاب الشديد .

اليوم التاسع والعشرون بعد المائة ـ غادرت المزرعة ، واتجهت إلى طريق كاننج ستوك الأسطورى ، عند البئر رقم 9 . وكان علينا أن نسلك هذا الطريق لمسافة 270 كيلومترًا ، وبالتالى منطقة الكلاب البرية « الدينجو » . وخشيت أن تلتقط كلبتى الطعوم المسممة التى يضعونها فى تلك المنطقة للقضاء على الكلاب البرية ، ولذلك وضعت كمامة على فمها . وأخذت تخدش بأظفارها ، مما حملنى إلى نزع الكمامة . وما إن وصلنا إلى البئر رقم 6 حتى قررت التوقف للراحة لمدة ثلاثة أيام فى موقع تحيط به

استطاعت روبين وحدها قطع 2700 كيلو متر فى برارى أستراليا الغربية لأول مرة .

لأشجار الأوكاليبتوس العملاقة . وفى الليلة الثالثة التهمت فيكى طعمًا مسممًا وأخذت تعوى من الألم ، فاضطررت إلى قتلها بالرصاص .

اليوم الثمانون بعد المائة ـ غادرت محطة كونيو فى طريقنا إلى مزرعة للأغنام فى والجيتى داونز ، التى لاتبعد أكثر من 250 كيلومترًا من المحيط . وبعد أيام من الضيافة الكريمة واصلت المسير .

اليوم الخامس والتسعون بعد المائة ـ وصلت إلى المرحلة النهائية من الرحلة وأسعدنى رؤية المحيط الهندى . وبعد أسبوع من الراحة ، تركت الجمال فى رعاية مزارعين من أهل المنطقة ، وعدت بالطائرة إلى بريسبان لأقدم التقرير النهائى لرحلتى عبر برارى أوستراليا الغربية .



بتصرف مختصر عن المصدر :

National Geographic Magazine by Robyn Davidson , dated May 1978 .

Washington , D.c. 20036 , U.S.A.

فهرس

حدث بالفعل

وقائع حقيقية
وأحداث غريبة
ليس لها أي تفسير على الإطلاق





يقدم هذا الكتاب وقائع حقيقية ، وأحداثا صادقة ، حدثت بالفعل من واقع الحياة ، تشكل مأزقا واقعيا بعد حدوثه ، أو حادثا غريبا ليس له أي تفسير على الإطلاق ، أو تجربة إنسانية حية ، تضاف إلى خبرات الأفراد المتراكمة ...

وقائع هي ملح الحياة ، وثمرة التجارب ، وحصيلة العمر ، تكشف بتلقائية شديدة عن معدن الإنسان وأصالته ، وتبلور الحكمة الكامنة في مجابهة المصاعب والشدائد ، وتلقي الضوء على القوة الكامنة الهائلة داخل كل إنسان ، المستمدة من قوة الإيمان ، والوعي الكامل بالوجود ، ودوره في الحياة ، ومدى تمسكه بالمثل والقيم والفطرة السليمة ، حتى يصبح إنسانا عظيما بحق ، فليس هناك طريق مختصر غير ذلك



الثمن في مصر : ٢٠٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم